المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/WDCF9233

يوريس غورت | Joris Gort*
أليكس لوفتوس | Alex Loftus**
ترجمة سجى طرمان | Translated by Saja Torman***

نحو إيكولوجيا سياسية حضرية للشعبوية****

An Urban Political Ecology of Populism

نُطوّر في هذه الدراسة فهمًا علائقيًا للشعبوية، مستنيرًا بحقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية. ونُجادل بأن مقاربة الشعبوية من منظور الإيكولوجيا السياسية الحضرية ضرورية لصياغة تفنيد شعبي – ديمقراطي للادعاءات البيئية لليمين المتطرف. ومن ثم، تهدف الدراسة إلى مواصلة تطوير نقد للنزعة البيئوية الليبرالية، والشعبوية اليمينية. وللقيام بذلك، نعمد أولًا إلى فتح حوار بين الأدبيات في حقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية والقراءات الغرامشية للشعبوية. فكلا الحقلين يسعى لتفسير الكيفية التي تُصبح فيها الادعاءات المكانية والبيئية مركزية في الصراعات على الهيمنة. ويحلل النصف الثاني من الدراسة هذه التوترات من خلال حركة المزارعين الهولنديين، التي غدت منذ عام 2019 واحدةً من أهم القوى السياسية في هولندا؛ إذ يُعدّ تجريد "المحلي" أو "الريفي" أو "المزرعة" من عمليات التوسع الحضري الأوسع نطاقًا أمرًا محوريًا في الصراعات على تمثيل المزارعين. وهكذا، تسعى الحركات اليمينية لتعميق الإحباط من السياسة الرسمية، مستفيدة من تجريدات مكانية وبيئية تضع "الريفي" في مواجهة "الحضري". ونختتم بتأكيد الروابط الجوهرية بين الشعبوية والإيكولوجيا، وندعو إلى إيكولوجيا سياسية شعبية – ديمقراطية.

كلمات مفتاحية: الشعبوية، الإيكولوجيا السياسية الحضرية، الهيمنة، الحركات اليمينية، حركة المزارعين الهولنديين.

In this paper we develop a relational understanding of populism informed by urban political ecology. We argue that an urban political ecology of populism is necessary for a popular-democratic denunciation of the environmental claims of the far right. This article thereby aims to further develop a critique of liberal environmentalism and right-wing populism. We do so by first staging a dialogue between literatures in urban political ecology and Gramscian inflected readings of populism. Both have sought to interpret how spatial – and ecological – claim making becomes central to struggles over hegemony. The second half of the paper analyses these tensions in the Dutch farmers movement, which has become one of the most important political forces in the Netherlands since 2019. Abstracting "the local", "the rural" or "the farm" out of the broader processes of urbanisation is central to struggles over the representation of farmers. Right-wing movements thus seek to further a broader disillusionment with formal politics, while effectively deploying spatial and ecological abstractions that pit the "rural" against the "urban". We conclude by instead emphasising the crucial connections between populism and ecology, and call for a popular-democratic political ecology.

Keywords: Populism, Urban Political Ecology, Hegemony, Right-Wing Movements, Dutch farmers' Movement.

* قسم الجغرافيا، كلية كينغز لندن.
Department of Geography, King's College London.
E-mail: joris.gort@kcl.ac.uk

** قسم الجغرافيا، كلية كينغز لندن.
Department of Geography, King's College London.
E-mail: alex.loftus@kcl.ac.uk

*** باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: saja.torman@dohainstitute.edu.qa

**** هذه ترجمة لـ:
Joris Gort & Alex Loftus, "An Urban Political Ecology of Populism," *Political Geography*, vol. 113 (August 2024).

مقدمة

قاد المزارعون الهولنديون، في خريف 2019، جراراتهم نحو لاهاي؛ ما أدى إلى عرقلة حركة المرور في ساعة الذروة، وشلّ أجزاء واسعة من البلاد. وشهدت بلدانٌ في شمال العالم وجنوبه احتجاجات مشابهة باستخدام الجرّارات، حتى إنّ البعض رأى فيها رمزًا جوهريًا لهذه اللحظة الشعبوية[1]. وجاء الاحتجاج موجّهًا ضد استجابة الحكومة لتشريعات الاتحاد الأوروبي بشأن انبعاثات النيتروجين، التي كان من شأن تطبيقها أن يفضي إلى إغلاق مزارع كبرى تقع في محاذاة المناطق المحمية. وفي الوقت ذاته، استغل المزارعون أيضًا سخطًا اجتماعيًا أوسع انتشارًا، وضع "الشعب" في مواجهة "كتلة السلطة". ووفقًا لإرنستو لاكلاو[2]، فإن هذه الخصومة الجوهرية – المعبَّر عنها من خلال سياسة طبقية – هي ما يمنح الشعبوية شكلها البنيوي الذي يميزها. وفي السياق الهولندي، تضخَّم هذا الشكل البنيوي الشعبوي بفعل حدّة التمايزات المكانية والبيئية التي تضع "الريفي" في مواجهة "الحضري"، و"الطبيعة" في مواجهة "الشعب". وفيما يلي، نجادل بأن تحليل الشروط التي أفضت إلى نشوء حركة المزارعين الهولنديين يمكن تعميقه من خلال الربط بين الأدبيات المتعلقة بالإيكولوجيا السياسية (الحضرية) وتلك المتصلة بالشعبويات اليمينية[3].

شكّلت احتجاجات عام 2019 نقطة تحوّل حاسمة في مسار السياسة الهولندية لاحقًا، ولم يقتصر أثرها على الداخل، بل امتدّ ليترك صدى عالميًا أيضًا. ومع استئناف الاحتجاجات في حزيران/ يونيو 2022، أقدم المنظّمون على إغلاق الطرق ومحطات القطارات والمطارات، ونجحوا في توسيع قاعدة الدعم الشعبي لقضية المزارعين. وتجلّى التحوّل الأبرز في آذار/ مارس 2023، حين نجحت حركة "بي بي بي" BoerBurgerBeweging, BBB، أي "حركة المزارع - المواطن"، في الفوز في الانتخابات؛ إذ حصدت أكبر عدد من المقاعد في الانتخابات الإقليمية لتغدو الحزب الأقوى في جميع المقاطعات الهولندية الاثنتي عشرة. ومن ثمّ، كان للصراعات التي فجّرتها تلك الاحتجاجات أثر مباشر في تشكيل مسار الانتخابات البرلمانية الأخيرة، التي عُدّت على نطاق واسع انتصارًا كاسحًا لحزب اليمين المتطرف بزعامة هيرت فيلدرز Geert Wilders.

وعلى الرغم من أنّ حركة بي بي بي تُقدّم نفسها بوصفها ممثّلةً لـ "المزارعين الهولنديين"، فإنها ليست ظاهرة معزولة. ويمكن فهم صعودها ضمن إطار أوسع، تتنافس فيه قوى فاعلة متعارضة أحيانًا على تحديد التوجه السياسي والاقتصادي للزراعة، كما بيّن يان دوي فان دير بلوخ في السياق الهولندي[4]. وسعت حركات اليمين المتطرف لاستثمار صراعات محلية متفرقة في مواقع مختلفة. ونجادل، امتدادًا لحجّة فان دير بلوخ[5]، بأنّ احتجاجات هولندا تمثّل استمرارًا لأنماط من الفعل والاحتجاج انتشرت في سياقات عالمية متباينة، حيث يُولّد التوتر بين تكثيف الإنتاج الزراعي والتنظيم البيئي تناقضاتٍ جديدةً. وسيسهم مسار تطور هذه الصراعات، وإمكانية تعميق اليمين المتطرف استثماره فيها، في تشكيل المشهد السياسيّ في سياقات أخرى عديدة. ومن خلال تجاوز التقابلات الصارمة بين المدينة والريف والمركز والهامش، توظّف دراستنا إطارًا تقاطعيًا ذا أفق عالمي، يستند إلى أدبيات الإيكولوجيا السياسية للشعبوية السلطوية، وخاصة إسهامات الإيكولوجيا السياسية الحضرية التي تركّز على عمليات التمدّن الموسَّع.

من الضروري، كما جادلت جيليان هارت[6]، أن يُركز هذا النوع من التحليل الظرفي Conjunctural Analysis "لا على صعود التيارات اليمينية فحسب، بل على حدود الليبرالية وتناقضاتها أيضًا". ومن هذا المنطلق، نُسلّط الضوء على سلسلة من الأخطاء التي ارتكبتها حكومة ائتلاف يمين الوسط بقيادة مارك روته Mark Rutte في هولندا. وكما أوضح بول توليس[7]، تقدّم هذه الأخطاء الاستراتيجية درسًا مهمًا للحركات البيئية في أنحاء أوروبا كافة. وتُبرز مساهمتنا أهمية النقد الاجتماعي - الإيكولوجي، الذي طُوِّر من خلال حوار بين الإيكولوجيا السياسية Political Ecology والقراءات الغرامشية للشعبوية؛ إذ يوضح هذا النقد كيفية توظيف اليمين تجريدات

1 Jan Douwe van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," *Journal of Peasant Studies*, vol. 47, no. 3 (2020), pp. 589-605; Nicholas Vinocur & Barbara Brzeziński, "How the Far Right Aims to Ride Farmers' Outrage to Power in Europe," *Politico*, 26/1/2024, accessed on 2/5/2024, at: https://acr.ps/1L9BPMA

2 Ernesto Laclau, "Towards a Theory of Populism," in: *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism, Fascism, Populism* (London: Verso, 1977), pp. 143-198.

3 Ed Atkins & Filippo Menga, "Populist Ecologies," *Area*, vol. 54, no. 2 (2022), pp. 224-232; Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022); Kishore K. Saguin, "Urban Populist Ecologies and Duterte's Politics of Discipline in Manila's Dolomite Beach," *Political Geography*, vol. 95 (2022).

4 Jan Douwe van der Ploeg, *Gesloten Vanwege Stikstof: Achtergronden, Uitwegen en Lessen* (Nordbroek/ Amersfoort: Uitgeverij Noordboek, 2023).

5 Jan Douwe van der Ploeg et al., *Wat Smyt it op: Een Verkennende Analyse van Bedrijfseconomische en Landbouwkundige Gegevens van VEL & VANLA-bedrijven* (Wageningen/ Drachten: Wageningen UR/NLTO-projecten, 2003).

6 Gillian Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis: 'Seeing the Present Differently' through Global Lenses," *Antipode*, vol. 56, no. 1 (2024), pp. 135-164.

7 Paul Tullis, "Nitrogen Wars: The Dutch Farmers' Revolt that Turned a Nation Upside-Down," *The Guardian*, 16/11/2023, accessed on 13/12/2023, at: https://acr.ps/1L9BP65

مكانية وبيئية زائفة، وفي الوقت نفسه يكشف حدود النزعات البيئوية التكنوقراطية Technocratic Environmentalisms. وحتى نتجاوز، من الناحية المنهجية، المقاربات القومية (أو المدِينَوية Cityist) في التركيز الحصري على المدن عند دراسة "الطبيعة"، لا بد من الانطلاق من العلاقات الاجتماعية - البيئية والمجالات التي نشأت وتراكمت من خلالها الصراعات اليمينية المعادية للبيئة. وعلى هذا النحو، نسعى للإسهام في "صياغة جديدة لأدبيات الإيكولوجيا السياسية الحضرية"[8] تكون قادرة على مواجهة هذه الأزمنة العصيبة، وواعية بمخاطر الشعبويات اليمينية، وبإخفاقات الليبرالية أيضًا، "في كل منعطف من منعطفات الرأسمالية"[9].

عند تطويرنا ما نسميه "الإيكولوجيا السياسية الحضرية للشعبوية" Urban Political Ecology of Populism، نحدد أربعة خيوط أساسية تتقاطع مع الصراع في هولندا، وتمتدّ مكانيًا إلى مواقع جغرافية أخرى. أولًا، استغل الشعبويون اليمينيون إخفاقات "النزعة البيئوية التكنوقراطية" Technocratic Environmentalism؛ فبدلًا من أن تتبلور استجابة بيئية ضمن مشروع سياسي شعبي - ديمقراطي Popular-Democratic Political Project، اتجه بعض الفاعلين المركزيين في الحركة البيئية إلى مسارٍ قضائي يُقدَّم بسهولة بوصفه تكنوقراطيًا، أو مظهرًا آخر من مظاهر منح "الطبيعة" أولويةً على "الشعب". ثانيًا، وارتباطًا بما سبق، سارع الشعبويون اليمينيون إلى توظيف سياقات مكانية وزمانية، سواء أكانت واقعية أم متخيَّلة، عبر بناء مخيال مكاني Spatial Imaginary قوي يقابل "الريف" بـ "مراكز الحكم الحضرية". وتتغاضى هذه المخاييل Imaginaries الإيكولوجية، تكتيكيًا، عن تشابكات الريفي بالحضري في إطار التوسع الحضري الممتد Extended Urbanization والزراعة الرأسمالية Capitalist Agriculture التي قام عليها النموذج الاقتصادي الهولندي[10]. وتُعدّ هذه العلاقات معقدة؛ إذ يمكن تفسير جانب من الدعم الواسع لحزب حركة بي بي بي في المناطق الحضرية بوصفه شكلًا من الحنين إلى ماضٍ ريفيٍ مفقود[11]. ثالثًا، أخذ الخلاف حول سياسة الحكومة الهولندية بشأن انبعاثات النيتروجين يتبلور في ميدان الأيديولوجيا، متخذًا طابعًا أيديولوجيًا متناميًا. فقد اتخذ الخطاب المعادي للبيئة منحى قاتمًا، متداخلًا مع سرديات معاداة السامية وكراهية الأجانب والمهاجرين، ولا سيما في خطابات برلمانيين مثل تييري بوديه Thierry Baudet[12]. وأخيرًا، لا يمكن فهم حركة المزارعين الهولنديين بمعزل عن صلاتها الوثيقة بالحركات العالمية اليمينية المتطرفة والمعادية للبيئة. ففي حين تسعى هذه الحركات، في أنحاء العالم، لاستثمار التجربة الهولندية على نحوٍ متزايد، تكشف تطوراتها عن تناقضات أوسع بين السرديات اليمينية المعادية للبيئة والحنين إلى الريف[13]. ومن المرجّح أن تتصاعد مثل هذه الصراعات في السنوات المقبلة، مع شروع دول أخرى في معالجة الأزمات الأيضية Metabolic[14] المرتبطة بالزراعة المكثفة Intensive Farming.

نبدأ بتوضيح تصورنا للشعبوية، مستندين إلى كتابات الجغرافيين السياسيين والإيكولوجيين السياسيين، ومساهمات أنطونيو غرامشي، وكتابات ستيوارت هول ولاكلاو. ثم نقدّم قراءتنا للإيكولوجيا السياسية، مع التركيز على المساهمات الحديثة في الإيكولوجيا السياسية الحضرية Urban Political Ecology. ومن خلال ذلك، نؤكد التفسير العلائقي للتوسع الحضري، بوصفه شرطًا ضروريًا إذا أرادت الإيكولوجيا السياسية - كما يفترض ماثيو غاندي – أن تَحول دون مزيد من التهميش في النقاشات العالمية حول الحوكمة البيئية[15]. وفي الجزء الأخير، نركز على حركة المزارعين الهولنديين، مع إعادة تفسير هذا التدفق الغاضب في سياق العلاقات الريفية - الحضرية الخاصة بهولندا. ونختتم بالعودة إلى الخيوط الأربعة المقترحة سابقًا، مؤطرين إياها بطريقة إيجابية تفتح أفق الانتقال نحو تطوير إيكولوجيا سياسية **شعبية** *Popular* بدلًا من **شعبوية** *Populist*. وعلى حد تعبير مايكل إيكرز وزميليه[16]، في مواجهة "المشاريع السياسية الشعبوية [التي] تُعامل الشعب بوصفه تجريدًا مبهمًا موحَّدًا، على نحو مصطنع، سواء من الأعلى أو من الخارج، تتعامل الاتجاهات الديمقراطية - الشعبية

8 Matthew Gandy, "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration," *Progress in Human Geography*, vol. 46, no. 1 (2022), p. 35.

9 Cindi Katz, "Revisiting Minor Theory," *Environment and Planning D: Society and Space*, vol. 35, no. 4 (2017), p. 599.

10 Pepijn Brandon, "Marxism and the 'Dutch Miracle': The Dutch Republic and the Transition-Debate," *Historical Materialism*, vol. 19, no. 3 (2011), pp. 106-146; Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

11 للاطلاع على هذه الحجة، ينظر:
Paul Tullis, "Nitrogen Wars: The Dutch Farmers' Revolt that Turned a Nation Upside-Down," *The Guardian*, 16/11/2023, accessed on 13/12/2023, at: https://acr.ps/1L9BP65

12 Dion Mebius, "Baudet in Verlegenheid na Uitgelekte Racistische Apps," *De Volkskrant*, 9/9/2021, accessed on 12/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BP0X

13 Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022).

14 يشير مصطلح الأزمة الأيضية في الأدبيات الإيكولوجية الماركسية، والماركسية عمومًا، إلى مشكلة الاختلال التي يُحدثها نمط الإنتاج الرأسمالي، ومنه الزراعة المكثفة، في التوازن بين النشاط البشري والطبيعة. وقد نظَّر ماركس لهذه الأزمة في كتابه **رأس المال**. (المترجمة)

15 Matthew Gandy, "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration," *Progress in Human Geography*, vol. 46, no. 1 (2022), pp. 21-43.

16 Michael Ekers, Stefan Kipfer & Alex Loftus, "On Articulation, Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 110, no. 5 (2020), p. 1588.

مع الشعب بوصفه نتاجًا، دائم التمايز وغير مكتمل التكوين، لمشاريع سياسية تنبثق من أرضيات مهمشة". وبناءً على ذلك، نقترح أن هذه الاحتجاجات تتيح فرصة للنظر في إمكانية مشروع سياسي أكثر تقدّمية (حتى لو كانت بعيدة).

أولًا: الشعبوية بوصفها ظاهرة ظرفية

نستخدم مصطلح الشعبوية، في هذه الدراسة، بحذر شديد. وكما يلاحظ إيكرز وزميلاه[17]، تُعدّ الشعبوية "من أشد المصطلحات التباسًا في التحليل السياسي"؛ إذ يمكن أن يشير إلى أيديولوجيا، أو شكل سياسي، أو نظامِ عمل دولةٍ، وغير ذلك. وخلال السنوات الأخيرة، استُخدم المصطلح للدلالة على ما يبدو أنه دعم شعبي لعدد من الحركات القومية اليمينية التي حققت قدرًا من النجاح الانتخابي. وقد جاءت هذه النجاحات عبر تحالفات جديدة ضمّت مصالح طبقية متنوّعة. وقد تأثر فهمنا للشعبوية إلى حدّ بعيد في ضوء القراءات الغرامشية[18]، وهي قراءات استلهمت، بدرجات متفاوتة، أعمال لاكلاو المبكرة[19]، واستندت على نحو أعمق إلى مساهمات هول على وجه الخصوص[20].

تزايدت الكتابات الجغرافية حول الشعبوية منذ دعوة كريستوفر ليزوت[21] إلى إعادة تركيز الجغرافيا السياسية على هذه الظاهرة. وغالبًا ما كانت المرجعيات في ذلك هي نفسها التي ذكرناها سابقًا؛ إذ يَبرز فيها هول وغرامشي وهارت، في حين يظل لاكلاو (غالبًا مقرونًا بشانتال موف) حاضرًا في معظمها حضورًا شبه كلي. غير أنّ هذا الاشتراك في المرجعيات يخفي، في الواقع، مقاربات متباينة جذريًا في فهم الشعبوية. ويقدّم كاي بوسورث[22] تمييزًا مفيدًا بين التفسيرات الشكلانية Formalist والتاريخانية Historicist للشعبوية. تجسدت الأولى في أعمال لاكلاو المبكرة[23]، ثم جرى تطويرها بطرائق مغايرة في كتاباته اللاحقة وفي مجموعة من التحليلات ما بعد التأسيسية Post-foundationalist الأخرى. أمّا المقاربات التاريخانية، فيرى بوسورث أنها تأثرت بالفهوم المتجذرة التي قدّمها هول وغرامشي للظواهر الاجتماعية. وانطلاقًا من هذا التمييز، يسعى[24] لبناء تفسير دقيق يتحرك بين هذين التصورين، ويضيف "إلى التحديدات العديدة"[25] بين الشكلي والمادي" منظورًا يستند إلى "التقليد الأدائي - الوجداني" The Performative-Affective Tradition. وبناءً على ذلك، تُقدّم قراءته[26] لمسيرة المناخ الشعبية People's Climate March، بوصفها "نوعًا سياسيًا"، إعادة تفسير متأنية للعلاقة بين الإيكولوجيا السياسية والشعبوية، وتُظهر على نحو مقنع السبب الذي يجعل من الممكن النظر إلى الشعبوية بوصفها "أسلوبًا أدائيًا للسياسة" Performative Style of Politics.

ومع ذلك، تعدّ التفسيرات الأخرى ذات المنحى "الأدائي - الوجداني" Performative-Affective أقل إقناعًا؛ إذ تقع أحيانًا في فخ الاختزال الذي يُحذّر منه بوسورث. وفي هذا السياق، يقدّم بِين أندرسون وآنا سيكور[27] طرحًا يبدو مبالغًا فيه إلى حدّ ما؛ إذ يزعمان أنّه "لا يوجد خطاب عن الشعبوية إلا وهو دائمًا وبحق خطاب عن الوجدان". وفي حين تُصوّر سرديات سائدة عديدة هذه اللحظة الشعبوية بوصفها "عصر غضب" Age of Anger[28]، أو تصوّرها من خلال سجل عاطفي Emotional Register طاغٍ، فإن هنالك مقاربات أخرى تنظر إليها بوصفها شكلًا بنيويًا[29]، أو أنها ناشئة من ميدانِ أيديولوجيا[30]، أو هي حركة مُعبَّر عنها من خلال

17 Ibid., p. 1585.

18 Gillian Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 233-238; Stefan Kipfer & Mustafa Dikeç, "Peripheries against Peripheries? Against Spatial Reification," in: *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*, K. M. Güney, Roger Keil & M. Üçoğlu (eds.) (Toronto: University of Toronto Press, 2019), pp. 142-164; Stefan Kipfer & Parastou Saberi, "The Times and Spaces of Right Populism: From Paris to Toronto," *Socialist Register*, vol. 52 (2015).

19 Laclau, pp. 143-198.

20 Stuart Hall, "The Great Moving Right Show," *Marxism Today* (January 1979), pp. 14-20; Stuart Hall, "Authoritarian Populism: A Reply," *New Left Review*, vol. 1, no. 151 (1985), pp. 115-124.

21 Christopher Lizotte, "Where are the People? Refocusing Political Geography on Populism," *Political Geography*, vol. 71 (May 2019), pp. 139-141.

22 Kai Bosworth, "The People's Climate March: Environmental Populism as Political Genre," *Political Geography*, vol. 83 (2020).

23 Erik Kojola, "Bringing Back the Mines and a Way of Life: Populism and the Politics of Extraction," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 371-381; Laclau, pp. 143-198.

24 Bosworth.

25 Stuart Hall, "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction," *Cultural Studies*, vol. 17, no. 2 (2003), pp. 113-149.

26 Bosworth, p. 3.

27 Ben Anderson & Anna Secor, "Propositions on Right-Wing Populism: Available, Excessive, Optimistic," *Political Geography*, vol. 96 (2022), p. 1.

28 Pankaj Mishra, *Age of Anger: A History of the Present* (London: Allen Lane, 2017).

29 Laclau, pp. 143-198.

30 Hall, pp. 14-20.

ظروف تاريخية وجغرافية مميّزة[31]. ويبدو أن تفسير أندرسون وسيكور[32] مستوحى إلى حد بعيد من كتاب لاكلاو، **العقل الشعبوي** *Populist Reason*[33]، الذي يبتعد بوضوح عن الشروط المادية للصراع الطبقي ليؤكد النشأة العاطفية للشعبوية.

نأى لاكلاو، كما تُبيّن هـارت[34]، بنفسه عمّا يراه آخر بقايا النزعة الجوهرانية في الفكر الماركسي، وذلك باللجوء إلى نظرية التحليل النفسي Psychoanalytical Theory (من خلال جوان كوبجيك Joan Copjec). غير أنّ موقف لاكلاو ينتهي، للمفارقة، إلى تأكيد "انقسام بين أولئك الذين يدركون أن أيّ اكتمال للمجتمع ليس سوى أسطورة محضة، و'الشعب' المتخيَّل الذي يطلق التحدي الشعبوي"[35]. ونجد صياغة قريبة من ذلك لدى لويس ألتوسير[36] الذي يرفض أيّ تصور للأيديولوجيا بوصفها "وعيًا زائفًا". فالأيديولوجيا تُفَسَّر، حينئذ، عبر "الدافع اللاواعي"، مع استناد ألتوسير إلى جاك لاكان Jacques Lacan. ومع ذلك، كما يُبيّن جان رهمان[37]، فإن هذا التأطير الألتوسيري، برفضه الوعي، يُفرغ التجربة المعيشة من مضمونها، ويقوّض العمليات المادية التي تتشكّل من خلالها الأيديولوجيات والمشاريع الشعبوية. ويمكن قول الشيء نفسه عن لاكلاو[38]، الأمر الذي يجعل بعض الكتابات الجغرافية المعاصرة حول الشعبوية موضع إشكال.

يظهر هذا التوتر، مثلما يبيّن بوسورث[39]، بين الأطر ما بعد البنيوية للشعبوية والمقاربات الأكثر مادية، بوضوح، في الأدبيات الجغرافية. وهكذا، تستند هاريه أوزان[40]، في البداية، إلى لاكلاو[41] لفهم "نمط محدد من التشكّل السياسي الذي يُكوِّن 'الشعب' ذاتًا جمعية". ومع ذلك، تضيف أن هذه الرؤية اللاكلاوية تحتاج إلى استكمال بتفسير هول[42] الأكثر غرامشية لـ "الصراع الهيمني" Hegemonic Struggle. ويستند دييغو أنـــدروتشي[43]، على نحو مشابه، إلى "منطق التركيب" عند لاكلاو[44]، مع إقراره بوجاهة الانتقادات التي تُشير إلى غياب الأسـاس الطبقي داخـل "الصراع الخطابي - البلاغي" Discursive-Rhetorical Struggle. ويجادل، في سعيه لفهم المسار الذي سلكته حكومة إيفو موراليس Evo Morales في بوليفيا في سنواتها الأخيرة، بأن "المشكلة لا تكمن في الشعبوية في حد ذاتها، بل تحديدًا في المشروع الطبقي الذي يُصاغ عبر الشعبوية ويُعاد إنتاجه من خلالها"[45]. وتتجاوز هذه الكتابات "افتراضات" أندرسون وسيكور الوجدانية[46]. وتزداد هذه المساهمات غنى حين تُدمَج برؤى الإيكولوجيا السياسية، كما توضّحه أبحاث بوسورث.

تتمثل إحدى نقاط القوة، في هذا التحوّل في الإيكولوجيا السياسية نحو دراسة الشعبوية، في تأكيد السياق المادي الذي تتشكّل ضمنه المشاريع الشعبوية. ويتجلى هذا التأكيد بوضوح في المجموعة البارزة التي نشرتها **حولية رابطة الجغرافيين الأميركيين** عام 2019؛ إذ يُؤطّر جيمس مكارثي[47] المجموعة بوصفها محاولة لتفسير العلاقات بين النيوليبرالية والشعبوية والحوكمة البيئية، ويظهر ذلك في الدراسات عن الشعبوية الاستخراجية Extractive Populism[48]، والسلطوية النيوليبرالية في لاوس[49]، واعـتماد حكومة الإكـوادور الشعبوية اليسارية على أسواق النفط العالمية[50]. واستنادًا إلى هذه المساهمات السابقة جزئيًا، ازدهرت الكتابات بشأن الشعبوية والإيكولوجيا؛ إذ طوّر الباحثون أدوات نقدية لفهم تزايد الشعبويات اليمينية

31 Kipfer & Saberi.

32 Anderson & Secor.

33 Ernesto Laclau, *On Populist Reason* (London: Verso, 2005).
[ينظر الترجمة العربية في: إرنستو لاكلاو، **العقل الشعبوي**، ترجمة خميسي بوغرارة (القاهرة: دار اسكرايب للنشر والتوزيع، 2024). (المترجمة)]

34 Gillian Hart, "Gramsci, Geography and the Languages of Populism," in: Michael Ekers et al. (eds.), *Gramsci: Space, Nature, Politics* (Oxford, UK: Wiley-Blackwell, 2013), pp. 301-320.

35 Ibid., p. 306.

36 Louis Althusser, "Ideology and Ideological State Apparatuses," in: *Lenin and Philosophy, and other Essays* (New York: Monthly Review Press, 1971).

37 Jan Rehmann, *Theories of Ideology: The Powers of Alienation and Subjection* (New York: Haymarket Books, 2013).

38 Laclau, *On Populist Reason*.

39 Kai Bosworth, "Populism and the Rise of the Far Right: Two Different Problems for Political Ecology," *Political Geography*, vol. 94 (2022).

40 Hayriye Özen, "Interpellating 'the People' against Environmentalists: The Authoritarian Populist Response to Environmental Mobilizations in Turkey," *Political Geography*, vol. 97 (2022).

41 Laclau, *On Populist Reason*, p. 2.

42 Stuart Hall, "Gramsci and Us," *Marxism Today* (June 1987), pp. 16-21.

43 Diego Andreucci, "Populism, Hegemony, and the Politics of Natural Resource Extraction in Evo Morales's Bolivia," *Antipode*, vol. 50, no. 4 (2018), pp. 825-845.

44 Laclau, *On Populist Reason*.

45 Andreucci, p. 839.

46 Anderson & Secor.

47 James McCarthy, "Authoritarianism, Populism, and the Environment: Comparative Experiences, Insights, and Perspectives," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 301-313.

48 Kojola, pp. 371-381.

49 Miles Kenney-Lazar, "Neoliberalizing Authoritarian Environmental Governance in (Post) Socialist Laos," *Annals of the Association of American Geographersi*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 338-348.

50 Angus Lyall & Gabriela Valdivia, "The Speculative Petro-State: Volatile Oil Prices and Resource Populism in Ecuador," *Annals of the Association of American Geographersi*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 349-360.

المتطرفة، وكيفية تشكّلها اقترانًا بأجندات بيئية متناقضة. ويُبرز إد أتكينز وفيليبو مينغا[51] هذه التناقضات عبر حالتين مختلفتين نسبيًا: جايير بولسونارو Jair Bolsonaro في البرازيل، والتحالف المحيط بماتيو سالفيني Matteo Salvin وحزبه **لا ليغا** *La Lega* في إيطاليا. ففي حين تبنّى بولسونارو موقفًا عدائيًا يستخفّ بعلوم المناخ، سعى سالفيني لتوظيف الهواجس البيئية بوصفها "وعاءً" Container يمكن أن تُمرَّر عبره مواقف سياسية أخرى. وفي هذا الصدد، يُمثل المشروعان ما يُشير إليه مينغا[52] بـ "القوى المتناقضة التي تُحرك الإيكولوجيات الشعبوية اليمينية، والتوتر بين العداء للبيئة والرومانسية الريفية". وتسري توترات مماثلة في حركة اليمين المتطرف في ألمانيا[53]، وكذلك في الحالة الهولندية، كما سنبيّن لاحقًا.

يُضيف اهتمام الإيكولوجيا السياسية بـالشروط المادية طبقاتٍ جديدةً إلى تفسيرنا للشعبوية، ويرى بوسورث[54] أن هذا المسار يمكن أن يذهب إلى أبعد من ذلك. فهو يشير إلى أنّ

> المشكلة التي تطرحها الشـعبوية على الإيكولوجيا السياسية تتوقـف، إلى حـد مـا، على مدى اسـتعداد الباحـثين لتبنّي التزامات سياسية معيارية أكثر تحوّلًا وجذرية، مثل الاشتراكية. فمن دون تدخّلٍ نشط من هذا النوع يهدف إلى بناء الشعبي Construct the Popular، فإن اليسار يقيّد نفسه – بحسب كلمات هول اللاذعة – بـ "إجراء مواءمات تكتيكية براغماتية مع أكثر العناصر محافظةً وتقليديةً في الأخلاق الشعبية"[55].

ونجد، ضمن مبادرة السياسة الريفية الانعتاقية Emancipatory Rural Politics Initiative, ERPI، مثالًا بارزًا عن باحثين "مستعدّين لتبنّي التزامات سياسية معيارية أكثر تحوّلًا وجذرية"[56]. فمن خلال تطوير رؤى أممية Internationalist متجذّرة في حوارات مستمرة مع حركات محلية نابعة من سياقاتها، وعبر تنسيق العمل مع شبكات مثل **لا فيا كامبسينا** *La Via Campesina*[57]، سعت مبادرة السياسة الريفية الانعتاقية لبناء شكلٍ من الممارسة Praxis يمكنه "بناء الشعبي" بوصفه بديلًا من الشعبويات اليمينية. وإلى جانب ذلك، تنطلق هذه المبادرة من الانتباه إلى الظرف الشعبوي The Populist Conjuncture الراهن بوصفه إطارًا لفهم اللحظة الحالية والتعامل معها.

الظرف الشعبوي

انبثقت جهود هول بشأن مفهوم "بناء الشعبي" في إطار مساءلة إخفاق اليسار في فهم التاتشرية Thatcherism ومواجهتها في ثمانينيات القرن العشرين. غير أنّ تفسيره[58] لها ظلّ يتغذّى باستمرار ويتّسع بفعل نقاشات مؤثّرة جرت داخل الجنوب العالمي[59]. وفي الواقع، فإن فهمه لكيفية تقاطع الأيديولوجيات مع التناقض المتكرر بين "الشعب" و"كتلة السلطة" تأثر جزئيًا بتحليل لاكلاو[60] البنيوي للبيرونية Peronism في الأرجنتين. لكنّ هذا التأثير، كما بيّن إريني كارايانيدس[61] وهـارت[62]، كان معقدًا؛ إذ انطوى على حوار مع منظّري التنمية المتأثرين بألتوسير، ومع ناشطين مناهضين للأبارتهايد في المنفى، ومع باحثين سعوا لفهم صعود التاتشرية. وربما الأهم بالنسبة إلى تحليلنا أن هذا المزيج الغني من مفكّري الجنوب العالمي أتاح لهول قراءة جديدة لمفهوم "التركيب" Articulation؛ وهي قراءة استندت، بقوة، إلى غرامشي. وعلى حد تعبير كارايانيدس، "قرأ هول غرامشي بوصفه منظِّرًا للتخلف Underdevelopment، على نحوٍ يمكن مقارنته بالمفكرين الأنكلوكاريبيين ومفكّري جنوب أفريقيا وأميركا اللاتينية الذين كان يتحاور معهم في الفترة ذاتها". ونتج من ذلك تفسير جديد للتاتشرية بوصفها شكلًا من "التحديث الرجعي" Regressive Modernization[63].

---

51 Atkins & Menga, pp. 224-232; Bram Büscher & Robert Fletcher, "Towards Convivial Conservation," *Conservation and Society*, vol. 17, no. 3 (2019), pp. 283-296.

52 Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022), p. 2.

53 Mirko Varco, "Volk Utopia: Racial Futures and Ecological Politics on the German Far Right," *Geoforum* (2023).

54 Bosworth, p. 2.

55 Stuart Hall, "Nicos Poulantzas: State Power, Socialism," *New Left Review*, vol. 1, no. 119 (1980), pp. 60-69.

56 ينظر:
Ian Scoones et al., (eds.), *Authoritarian Populism and the Rural World* (Abingdon/ New York: Routledge, 2021).

57 حركة عالمية، تأسست في عام 1993، تجمع ملايين الفلاحين والمزارعين، الذين لا يملكون أرضًا، والسكان الأصلانيين والرعاة والصيادين والمزارعين المهاجرين والمزارعين الصغار والنساء الريفيات وشباب الفلاحين من مختلف أنحاء العالم. وهي تدافع عن الزراعة المستدامة وتعدّها أساسًا لتحقيق السيادة الغذائية. (المترجمة)

58 Stuart Hall, *The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left* (London: Verso, 1988).

59 Eirini Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

60 Laclau, "Towards a Theory of Populism," pp. 143-198.

61 Eirini Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

62 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

63 Ibid.

وفي إطار هذا التفسير، يلتقط نقدُ هول[64] لـ "الشعبوية السلطوية"، بوصفها شكلًا من السياسة الهيمنية Hegemonic Politics، الكيفيةَ التي يجري بها استيعاب بعض المطالب الشعبية بالتزامن مع نزع التعبئة عن قطاعات شعبية أخرى على نحو متناقض. وكما يوضح هارت[65]، لم تتأثر مقاربة هول[66]، بعمق، بمفكري الجنوب العالمي فحسب، بل أيضًا، على نحو حاسم، بقراءته مقدّمةَ كارل ماركس لعام 1857 (الدفتر M) في **الغروندريسه** *Grundrisse*. فقد أعاد هول[67] بناء نقد ماركس للاقتصاد السياسي بعناية شديدة، متتبّعًا حركته من المجرّد إلى الملموس. وبالنسبة إلى هول، يختلف "الملموس" عن الواقع التجريبي البسيط؛ إذ يشير إلى تعدد التحديدات المتنوعة التي تُكوّن ذلك الواقع بوصفه وحدةً متمايزة[68]. ومن ثمّ، لا يُستبعد التجريد المفهومي Conceptual Abstraction البتة، بل يُعدّ ضروريًا لتعيين تلك التحديدات، بما يتيح إعادة بناء "الملموس" في عالم الفكر. وفي هذا السياق، يلاحظ جانماريا كولباني[69] أن هول قاوم مقاومة حثيثة استبدال التحليل الظرفي Conjunctural Analysis بالتجريد النظري.

وتعيد هارت[70]، في مواجهة الاستخدام الحاد لـ "التحليل الظرفي" بوصفه مصطلحًا عامًا يُختزل لتوصيف البحوث "السياقية" "Contextual" Research"، وضعَ مقاربة هول الشاملة – وعلى نحو حاسم تفسيره للشعبوية – ضمن إطار غرامشي. ثم تنطلق من هذا التأطير الغرامشي للتحليل الظرفي لتقديم قراءة للديناميات الزمنية - المكانية المتشابكة التي تميّز اللحظة السياسية الراهنة. وكما سنؤكد لاحقًا، يُعدّ التحليل الظرفي من النوع الذي تطوره هارت، بناءً على هول، أساسيًا لقراءتنا الإيكولوجيا السياسية (الحضرية)، لأنه يتيح تحليلًا دقيقًا للأصول المادية والتموضع المحلّي السياقي لحركات شعبوية بعينها. وبصيغة أكثر تحديدًا، يركّز هول على الخبرة المعيشة للعرق والطبقة داخل لحظة ظرفية تمكّن اليمين من تعبئتها عبر خلق تضاد بين "الشعب" و"كتلة السلطة"[71]. وعلى خلاف التجريد والصورية Formalism عند لاكلاو، طوّر هول شكلًا من التحليل الظرفي، وكان في الوقت نفسه ردًّا على بوب جيسوب وزملائه[72] في تحليلاتهم الموازية للتاتشرية[73]. ولإبراز ما على المحكّ في هذا التحول لدى هول، ينقل كولباني عن هول[74] نقده للاكلاو وموف[75]، كما ورد في مقابلة مع لورنس غروسبرغ، فيقول:

> إنهما يأخذان التجريدات التي جرى تطويرها وصقلها بدقة وعلى مستوى فلسفي رفيع، ثم يُسقطانها مباشرة على اللحظة الراهنة، هنا والآن. فلا تراهما يضيفان ويضيفان ويضيفان المستويات المختلفة من التحديد [...] في تتبع تراكمها. إن مشكلتهما لا تكمن في السياسة، بل في التاريخ[76].

ويمكننا أن نضيف أن مشكلة لاكلاو وموف لا تقتصر على التاريخ، بل تشمل أيضًا الجغرافيا، كما يتضح في أعمال هارت[77] في مقارنته العلائقية التوليدية بين الشعبويات Generative Relational Comparison of Populisms في جنوب أفريقيا والهند والولايات المتحدة الأميركية

64 Hall, "The Great Moving Right Show"; Hall, "Authoritarian Populism: A Reply."

65 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164;
وينظر أيضًا:
Eleni Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

66 Stuart Hall, "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction," *Cultural Studies*, vol. 17, no. 2 (2003), pp. 113-149.

67 Ibid.

68 للمزيد من النقاش حول مفهوم هول لـ "المحسوس/ الملموس"، ينظر:
Michael Ekers & Alex Loftus, "On the Concrete: Labour, Difference and Method," *Antipode*, vol. 52, no. 1 (2020), pp. 78-100.

69 Gianmaria Colpani, "Two Theories of Hegemony: Stuart Hall and Ernesto Laclau in Conversation," *Political Theory*, vol. 50, no. 2 (2022), pp. 221-246.

70 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

71 Alex Loftus, "Political Ecology III: Who are the People?" *Progress in Human Geography*, vol. 44, no. 5 (2019), pp. 981-990.

72 Bob Jessop et al., *Thatcherism: A Tale of Two Nations* (Cambridge: Polity, 1988).

73 Hall, "Authoritarian Populism: A Reply," pp. 115-124.

74 Stuart Hall, "On Postmodernism and Articulation," Interview by Lawrence Grossberg, *Journal of Communication Inquiry*, vol. 10, no. 2 (1986), pp. 45-60.

75 Ernesto Laclau & Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics* (London: Verso, 1985).

76 Gianmaria Colpani, "Two Theories of Hegemony: Stuart Hall and Ernesto Laclau in Conversation," *Political Theory*, vol. 50, no. 2 (2022), pp. 221-246.

77 Gillian Hart, *Disabling Globalization: Places of Power in Post-Apartheid South Africa* (Berkeley: University of California Press, 2002); Gillian Hart, "Political Society and Its Discontents: Translating Passive Revolution in India and South Africa Today," *Economic and Political Weekly*, vol. 50, no. 43 (2015), pp. 43-51; Gillian Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 233-238; Gillian Hart, "Why did it Take so Long? Trump-Bannonism in a Global Conjunctural Frame," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 239-266.

(وكذلك في النقد المتعاطف مع لاكلاو[78] ضمن عمل دورين ماسي[79]). وقد يُفترض، على نحو حدسي Intuitively، وجود علاقة بين ظهور الشعبويات اليمينية في الولايات المتحدة والهند وجنوب أفريقيا. غير أن هارت، بدلًا من الاكتفاء بتصوير ذلك بوصفه تمردًا عاطفيًا مُبهَم التعريف كما يلمّح أندرسون وسيكور[80]، تفكّك العلاقات المادية التي تتصل بالمشاريع الشعبوية ذات الأنواع المختلفة، مؤكدةً بذلك السياسة **المكانية** *Spatial* Politics الحاسمة التي تتشكل من خلالها هذه الشعبويات، وهو أمر ليس دائمًا واضحًا في أعمال هول. واستنادًا إلى باحثي الإيكولوجيا السياسية الآخرين، فإن ادّعاءنا المتواضع مفاده أن هذه السياسة المكانية تتجلى أيضًا ضمن ظروف بيئية متميزة. ويتطلب ما يصفه هارت وهول بـ "الإضافة والإضافة والإضافة"، في تأكيدهما الجغرافيات والتواريخ المتعددة، في الوقت نفسه، الانتباهَ إلى البيئات المعيشة في سياق **التوسع الحضري الممتد**. باختصار، نحن في حاجة إلى رؤى الإيكولوجيا السياسية أكثر من أيّ وقت مضى لفهم الخصوصيات السياقية التي تُغذّي مشاريع الشعبوية وتُنمّيها.

يمكن العثور على أساس إضافي لمثل هذا المشروع الحضري - البيئي في أعمال ستيفان كيبفر، وغالبًا ما يكون في حوار مع هارت، حيث يتحدى كيبفر[81]، إلى جانب باحثين آخرين[82]، المفاهيم المبسطة للشعبوية. فبدلًا من الافتراض الساذج الذي مؤداه أن الشعبوية اليسارية هي الترياق للشعبوية اليمينية، كما يُروَّج له بطرائق مختلفة في أعمال موف[83] وفريرس[84]، يحدد كيبفر[85] "شرطين أساسيين لسياسة ديمقراطية شعبية" Popular Democratic Politics، هما: العمل والتنظيم، وذلك انطلاقًا من فهمٍ للشعب يعارض أشكال كراهية الأجانب من "الشعب" التي يعبّئها اليمين السياسي؛ وإدراك "العلاقات المتمايزة وغير المتكافئة بين المجموعات المهيمنة"[86]. ويجادل كيبفر، كما هو الحال مع هول، بأن أيّ سياسة راديكالية لا بد من أن تعمل مع قاعدة سياسية شعبية، وتنطلق من تعبئتها إذا أريد لها النجاح. ومع ذلك، يحذر، في الوقت نفسه، من إعادة إنتاج الإقصاءات العنيفة التي يمارسها اليمين. على سبيل المثال، ينقد كيبفر ومصطفى ديكِتش[87] انخراطَ توماس فرانك[88] المتعاطف في ظاهره مع مخاوف الشعبوية لهذا السبب تحديدًا. فعلى الرغم من أن فرانك يعترف بأن قادةً مثل دونالد ترمب تمكّنوا في بعض الحالات من الاستجابة لمخاوف مادية حقيقية، فإنه في الوقت نفسه يضفي هالة عاطفية على "معاناة البلدات الصغيرة، وفقدان الوظائف، والفقر [الذي يمكن أن يوجد] في مكانٍ ما في الغرب الأوسط"[89]. وهكذا، يجري استبدال تجريد زائف بتجريد زائف آخر.

ثانيًا: ضد التشييء المكاني والبيئي: نحو إعادة تشكيل شعبية للإيكولوجيا السياسية الحضرية

قد يبدو غريبًا أن نؤسس تحليلًا لشكلٍ من الشعبوية يبدو في ظاهره ريفيًا ضمن إطار الإيكولوجيا السياسية **الحضرية**. غير أن إحدى الأطروحات البارزة (وإن بدت مفارقة على نحو ما) في هذا الحقل هي أن موضوع بحثه **لا** ينبغي أن يكون المدينة ذاتها[90]. فالحقل الذي يبدو كأنه محدَّد بالتركيز على "حالة المدينة" Cityness، اكتسب في الواقع فرادته من خلال تركيزه على العمليات أو السيرورات Processes. تتمحور الإيكولوجيا السياسية الحضرية، كما كتبت ماريا كايكا وزملاؤها[91]، حول "المشروع **الجمعي**، الذي بات الآن تقليدًا راسخًا، والمتمثل في محاولة فهم عملية إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة Urbanisation of Nature". فإعطاء العملية

78 Ernesto Laclau, "Beyond Emancipation," *Development and Change*, vol. 23, no. 3 (1992), pp. 121-137; Laclau, *On Populist Reason*.

79 Doreen Massey, "Politics and Space/ Time," *New Left Review*, vol. 196 (1992), pp. 65-84.

80 Anderson & Secor.

81 Stefan Kipfer, "Populism," in: Kelly Fritsch, Clare O'Connor & A. K. Thompson (eds.), *Keywords for Radicals: The Contested Vocabulary of Late-Capitalist Struggle* (Oakland, CA: AK Press, 2016), pp. 160-163.

82 ينظر:
Matthew Ekers, Stefan Kipfer & Alex Loftus, "On Articulation Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 110, no. 5 (2020), pp. 1577-1593; Kipfer & Dikeç, pp. 142-164; Kipfer & Saberi.

83 Chantal Mouffe, *For a Left Populism* (London: Verso, 2019).

84 Nancy Fraser, "From Progressive Neoliberalism to Trump - and Beyond," *American Affairs*, vol. 1, no. 4 (2017), pp. 46-64; Nancy Fraser, *Cannibal Capitalism* (London/ New York: Verso, 2022).

85 Stefan Kipfer, "Populism," in: Fritsch, O'Connor & Thompson (eds.), pp. 160-163.

86 ينظر: Ekers, Kipfer & Loftus, pp. 1577-1593.

87 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

88 Thomas Frank, "Donald Trump is Moving to the White House and Liberals Put Him There," *The Guardian*, 9/11/2016, accessed on 14/12/2020, at: https://acr.ps/1L9BPcW

89 Kipfer & Dikeç, p. 36.

90 Maria Kaika, *City of Flows: Nature, Modernity, and the City* (London/ New York: Routledge, 2005).

91 Maria Kaika et al. (eds.), *Turning Up the Heat: Urban Political Ecology for a Climate Emergency* (Manchester: Manchester University Press, 2023), p. xvi..

أو السيرورة الأولويةَ بدلًا من "الأشياء" يُعدّ السمة المميزة للمقاربة الجدلية Dialectical Approach[92] ولعديدٍ من الأطر الإيكولوجية السياسية. وفي حين تُعدّ هذه المقاربة محوريةً في أبحاث الإيكولوجيا السياسية الحضرية، فإنها تعمّقت أيضًا عبر دعوة هـارت[93] إلى فهم القوى المتعددة، الممتدة والمتداخلة، التي تُشكّل الظرف التاريخي الراهن.

وبالنسبة إلى باحثي الإيكولوجيا السياسية الحضرية، فإن السيرورات التي ينبغي تركيز الاهـتمام عليها هي الـسيرورات "الأيضية" Metabolic، التي تتعلق بالتحويل المتبادل بين البشري وغير البشري ضمن شروط محدَّدة تاريخيًا وجغرافيًا. ويستلهم هذا التحليل التحويلي قراءة ماركس لعلم التربة لدى يوستوس فون ليبيغ Justus von Liebig. ووفقًا لماركس، تتغيّر العلاقات التاريخية والجغرافية المحدَّدة التي تربط البشر ببيئاتهم الأوسع تغيّرًا جذريًا بفعل عملية التوسّع الحضري التي تنشأ في ظلّ الرأسمالية الصناعية. والأهم أنّ هذه العملية تولّد صدعًا أيضيًا Metabolic Rift يؤدّي إلى تدهور خصوبة التربة؛ إذ تفقد التربة المستنزفة من النيتروجين المغذّيات التي كان يُفترض أن يُعاد توليدها فيها عبر الفضلات البشرية ضمن دورة التربة.

وإذا كان باحثو الإيكولوجيا السياسية الحضرية قد درسوا الصرف الصحي والـزراعـة الحضرية، فإن الماء يظل موضوع الدراسة النموذجي في هذا الحقل، كما يظهر في أعمال ماريا كايكا[94] وإريك سوينغيدو[95]. ولا يكشف تتبّع تدفق الماء، بوصفه مثالًا محدّدًا على إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة، عن اللامساواة العميقة التي ينتجها نظام التراكم الرأسمالي فحسب – حيث يتمكن بعض الناس من الوصول إلى هذا المورد الحيوي في حين يُحرم منه آخرون - بل إنه يتيح أيضًا فهم دور الماء في ترسيخ مجموعات محددة من علاقات القوة. باختصار، تُعبّر تدفّقات الماء، ذات المصدر البشري وغير البشري، عن علاقات القوة وتُسهم في استدامتها. وتغدو المدينة تجسيدًا ماديًا لهذه السيرورات والعلاقات الأوسع؛ وبتعبير غاندي: "يمكن قراءة تاريخ المدن بوصفه تاريخًا للماء"[96].

تفرض الإيكولوجيا السياسية الحضرية القائمة على السيرورات تحديًا مهمًا للحركات التي تبني نفسها على ثنائيات مبسَّطة ومُشيَّأة على نحو مفرط؛ إذ إنها ترفض تقسيم العالم إلى ثنائيات مُفرطة التبسيط والتشييء. فاليمين الشعبوي، على سبيل المثال، وجد أرضًا خصبة في المطالب المرتبطة بالريف، و"الشمال المنسي"، وحزام الصدأ المهمل، وغيرها من التصويرات الاختزالية التي تبسّط الفضاءات والمواقع السياسية. وفي المقابل، لا تُعرِّف الإيكولوجيا السياسية الحضرية نفسها على أنها ضد الإيكولوجيا السياسية الريفية، بل بوصفها إطارًا يركّز على السيرورات الممتدة التي تُنتَج عبرها الأشكال الحضرية[97]. واستلهامًا لأعمال مثل عمل وليام كـرونـون[98]، وكتابات مايك ديفيس[99] اللافتة عن مدينة لوس أنجلوس، وشخصية السيبورغ Cyborg المبتكرة لدى دونا هــاراوي[100]، تستمر الإيكولوجيا السياسية الحضرية في تحدّي التشييئات المكانية والإيكولوجية التي تعتمد عليها المجموعات اليمينية المتطرفة لكسب قوتها.

ومع أن غاندي[101] واعٍ تمامًا بهذه الإسهامات الغنية التي تراكمت خلال فترة العقدين ونصف العقد الماضية، فإنه يشير إلى أن الإيكولوجيا السياسية الحضرية تقف عند منعطف حاسم؛ إذ يرى أنه من دون إعادة تشكيل نقديةٍ وتقاربٍ – أو على الأقل حوار – مع مجموعة من الحقول ذات الصلة، يواجه باحثو الإيكولوجيا السياسية الحضرية خطر الإقصاء من النقاشات الناشئة حول الحوكمة البيئية العالمية. ومن بين التحديات الستة التي يحدّدها، يبدو أن أهمّها بالنسبة إلينا يتعلق بمسألة مقياس الحضري Scale of the Urban. فعلى الرغم من أننا أوضحنا سابقًا أن هذا الحقل تشكّل أساسًا عبر تركيزه على إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة، فقد تعرّض في الآونة الأخيرة لانتقادات بسبب نزعته الطاغية إلى حصر تركيز الدراسات الميدانية في

92 David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Cambridge, MA: Blackwell Publishers, 1996); Gillian Hart, "Relational Comparison Revisited: Marxist Postcolonial Geographies in Practice," *Progress in Human Geography*, vol. 42, no. 3 (2018), pp. 371-394.

93 Hart, "Why did it Take so Long?" pp. 239-266; Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

94 Maria Kaika, "Interrogating the Geographies of the Familiar: Domesticating Nature and Constructing the Autonomy of the Modern Home," *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 28, no. 2 (2004), pp. 265-286.

95 Erik Swyngedouw, *Social Power and the Urbanization of Water: Flows of Power* (Oxford: Oxford University Press, 2004).

96 Matthew Gandy, "Between Borinquen and the Barrio: Environmental Justice and New York Puerto Rican Community, 1969–1972," *Antipode*, vol. 34, no. 4 (2002), p. 22.

97 كما يبيّن غاندي، قد يُقدِّم التأريخ المعرفي لهذا الحقل (كما يتجلى عند زيمر) أحيانًا نشأة الإيكولوجيا السياسية الحضرية على نحو مغاير إلى حدٍّ ما.

98 William Cronon, *Nature's Metropolis: Chicago and the Great West, 1848-1893* (New York: W. W. Norton & Company, 1991).

99 Mike Davis, *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles* (London/ New York: Verso, 1990).

100 Donna Haraway, "A Manifesto for Cyborgs: Science, Technology, and Socialist Feminism in the 1980s," *Australian Feminist Studies*, vol. 2, no. 4 (1987), pp. 1-42.

101 Gandy, "Urban Political Ecology," pp. 21-43.

المدن نفسها[102]. ووفقًا لهذه الانتقادات، تعكس هذه النزعة ما يُسمى "المدِينَوية المنهجية"[103] Methodological Cityism، وإن كان ذلك غالبًا من دون اعترافٍ صريح به.

وتمثلت إحدى الاستجابات لذلك في الاستناد إلى أطروحة هنري لوفيفر القائلة إن التوسّع الحضري Urbanization بات كونيًا Planetary، بما يوسّع رؤى الإيكولوجيا السياسية الحضرية لتشمل نطاقًا من المقاييس يتجاوز الشكل الحضري ذاته. وقد تبنّت مجموعة جديدة من الكتابات في الإيكولوجيا السياسية الحضرية هذا التحدّي[104]؛ إذ أعاد مؤلّفوها، ومعهم المقال الافتتاحي الذي يؤطرها[105]، صياغة الإيكولوجيا السياسية الحضرية في سياق حالة الطوارئ المناخية Climate Emergency. وفي هذا الإطار، يشدد غاندي[106] على التطورات النظرية في مجالات مثل "الإثنوغرافيا المتعددة الأنواع Multi-species Ethnography، والمقاربات المادية الجديدة New Materialist Approaches، وغيرهما من الاتجاهات الناشئة في دراسات الجغرافيا التي تتجاوز التركيز على الإنسان لتشمل الكائنات والعلاقات غير البشرية". ويستلهم عدد من الباحثين، جزئيًا، منظور لوفيفر الحضري المنفتح[107] على إبراز الكيفية التي تتقاطع بها الممارسات السياسية والاقتصادية والإيكولوجية والرمزية في تشكيل التوسّع الحضري بوصفه سيرورة[108]. والأهم أن هذه المجموعة البحثية تُظهر أن إغفال النطاق الكامل للسيرورات التي تُشكِّل مدننا، بما في ذلك العمليات السياسية - الاقتصادية، قد يعرّض حقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية لتهميشٍ أشد خطورة من ذلك الذي أشار إليه غاندي في موضع آخر[109].

واتجه بعض الباحثين، في تحليل التلاقي بين هذه الممارسات المتعددة التي تتجاوز الشكل الحضري Urban Form، إلى دراسة الفضاءات الطرفية Peripheral Spaces[110]. وفي هذا الصدد، يكتب يانيس تزانينيس وزملاؤه في مقدمة المجموعة المشار إليها آنفًا:

> يُفهم التوسع الحضري الممتد، هنا، بوصفه سيرورة عالمية تتجاوز التصوّرات المفهومية التقليدية لـ "الحضري"، لتشمل أشكالًا عديدة ومتنوعة من التوسّع في الشكل والسيرورة، وتتضمن أنماطًا متراكبة ومعقّدة من ديناميات النمو والانحسار، والتكثيف ونزع التكثيف، والنمو الديموغرافي والاقتصادي والتنوع[111]، فضلًا عن ديناميات اجتماعية - اقتصادية متناقضة[112].

ونضيف، علاوة على ذلك، أن التقارب مع الكتابات المتأثرة بالفكر الغرامشي[113] يتيح فهمًا أعمق لكيفية اندماج هذه السيرورات الممتدة للتوسع الحضري في تصورات العالم التي تنشأ من الممارسات المتجذرة في سياقاتها Situated Practices؛ فالتوسع الحضري الممتد يمثّل تأثيرًا إضافيًا في ميدان الأيديولوجيا؛ إذ تصبح تصوّرات العالم محلّ نزاع، وتتشكّل الرؤى الاجتماعية - البيئية وتُعاد صياغتها أحيانًا على نحوٍ منحاز أو مُشوَّه. ومن خلال إبراز الفروق الواقعية والمتخيّلة التي يصوغ الناس عبرها علاقتهم بالعمليات البيئية، تشير المنظورات الغرامشية إلى الكيفية التي تتصل بها هذه الرؤى برؤى أخرى للعالم، سمتها الأساسية أنها مترسبة ومتراكمة. واستجابةً إضافية لنداء غاندي بضرورة التعامل بجدّية مع الحقل المؤسسي Institutional Terrain

102 Harvey Angelo & David Wachsmuth, "Urbanizing Urban Political Ecology: A Critique of Methodological Cityism," *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 39, no. 1 (2015), pp. 16-27.

103 نستخدم مصطلح "المدينوية المنهجية"، على غرار مصطلحات شائعة مثل القومية المنهجية *Methodological Nationalism*، والمقصود بها النزعة التحليلية التي تتعامل مع المدينة بوصفها وحدة تحليلية طبيعية مكتفية بذاتها، ما يؤدي إلى طمس العلاقات والعمليات أو السيرورات الممتدّة بعيدًا عن المدينة (مثل الريفية خاصة)، التي تُنتج "الحضري" نفسه. (المترجمة)

104 ينظر: Kaika et al. (eds.), p. 202.

105 ينظر:
Yiannis Tzaninis et al., "Moving Urban Political Ecology beyond the Urbanization of Nature," *Progress in Human Geography*, vol. 45, no. 2 (2021), pp. 229-252.

106 Gandy, "Urban Political Ecology versus Ecological Urbanism," in: Kaika et al. (eds.), p. 25.

107 Henri Lefebvre, *The Production of Space*, Donald Nicholson-Smith (trans.) (Malden, MA: Blackwell, 1991 [1974]).

108 Roger Keil & Sarah Macdonald, "Rethinking Urban Political Ecology from the Outside In: Greenbelts and Boundaries in the Post-Suburban City," *Local Environment*, vol. 21, no. 12 (2016), pp. 1516-1533; Stefan Kipfer, "Pushing the Limits of Urban Research: Urbanization, Pipelines and Counter-Colonial Politics," *Environment and Planning D: Society and Space*, vol. 36, no. 3 (2018), pp. 474-493; Stephanie Treffers et al., "Extending the Boundaries of 'Urban Society': The Urban Political Ecologies and Pathologies of Ebola Virus Disease in West Africa," *Environment and Planning E: Nature and Space*, vol. 5, no. 4 (2022), pp. 2011-2032.

109 Gandy, "Urban Political Ecology," pp. 21-43.

110 ينظر:
Kipfer, "Pushing," pp. 474-493; Peter D. Thomas, *The Gramscian Moment: Philosophy, Hegemony and Marxism* (Leiden: Brill, 2009); Treffers et al., pp. 2011-2032.

111 Yiannis Tzaninis, "Cosmopolitanism beyond the City: Discourses and Experiences of Young Migrants in Post-Suburban Netherlands," *Urban Geography*, vol. 41, no. 1 (2020), pp. 143-161.

112 Yannis Tzaninis et al., "Introduction: Urban Political Ecology for a Climate Emergency," in: Kaika et al. (eds.), pp. 1-34.

113 Mustafa Dikeç, "Disruptive Politics," *Urban Studies*, vol. 54, no. 1 (2017), pp. 49-54; Ekers et al. (eds.).

الذي تتشكّل ضمنه الإيكولوجيات السياسية الحضرية، تُظهر المقاربات الغرامشية كيف يمكن أن تتحوّل الرؤى العالمية المتشظّية إلى فلسفات نقدية متماسكة، وشكلٍ من الممارسة Praxis قادر على إحداث تغيير عالمي.

يُطوِّر جان رِهمان هذا الإدراك الغرامشي الجوهري في كتابه **نظريات الأيديولوجيا**[114]؛ فمع أخذه مأخذًا بسيطًا على ادعاء بيتر توماس[115] القائل إن غرامشي، من بين الاستخدامات المتعددة لمفهوم "الأيديولوجيا" في **دفاتر السجن**، قدّم في الأساس تفسيرًا محايدًا لها، يجادل بضرورة إعادة قراءة **نقد** غرامشي للأيديولوجيا. فبالنسبة إلى توماس، تعدّ الفروق التي رسمها غرامشي بين الحسّ المشترك Common Sense والفلسفة، أو بين الأيديولوجيا وفلسفة الممارسة، فروقًا كمية، وليست نوعية. وبذلك، لا يتعلق الأمر بالحكم على مدى صدقية رؤيةٍ ما للعالم أو بطلانها، بل على تركيز التقييم الكمي على مقدار ما يمكن أن يجعل تلك الرؤية متماسكة (عبر عملية التركيب كما يقدّمها هول مثلًا) وعلى قدرتها على أن تغدو قوة مادية فاعلة. أما رِهمان[116]، وعلى النقيض من ذلك، فيرى أن غرامشي حافظ على مقاربة نقدية للأيديولوجيا **جنبًا إلى جنبٍ** مع فهمها على هذا النحو الأكثر حيادًا. فليست مقاربته النقدية موجّهة إلى التصورات البرجوازية للعالم فحسب، بل أيضًا – وهذا أمر بالغ الأهمية – إلى فلسفة الممارسة ذاتها، بما يحول دون انزلاقها إلى خطٍّ "رسمي" Official جامد. وهكذا، يعود رِهمان ليؤكد مجددًا أهمية نقد الأيديولوجيا، مع تمييزه من مفهوم الوعي الزائف False Consciousness (ومُقحِمًا ذلك في حوار مع كتابات هول)، فيكتب:

> يغدو النقد الأيديولوجي، من هذا المنظور، "خطابًا مقاطِعًا" Interruptive Discourse لا يباشر فاعليته عبر فضح الكتلة الأيديولوجية للخصم من الخارج، بل من خلال التدخل في بنيتها الداخلية لتفكيكها وإعادة تشكيلها، ثم إدماج عناصرها الفاعلة في نظام جديد[117].

ويولي رِهمان قراءة غرامشي ترجمةَ مقدمة ماركس لعام 1859 أهمية خاصة؛ إذ يلاحظ في لغتها تحوّلًا في مركز الثقل في اتجاه "حقل الأيديولوجيا". وبهذا الانتقال، يوجّه غرامشي النظر نحو الجهاز الهيمني الذي يتيح لرؤى العالم التشابك والتمفصل مع التجربة المادية، بما يجعل الأيديولوجيا ساحة للتجاذب وإعادة التشكيل. ومن منظور فلسفي - إبستيمولوجي، تكتسب هذه الملاحظات أهمية مضاعفة لدى باحثي الجغرافيا والإيكولوجيا السياسية؛ إذ تُظهر أن المعارك الحاسمة على الحقل الأيديولوجي لا تُخاض في المجال السياسي المجرد فحسب، بل تتجسد أيضًا في أنماط العلاقة بين الإنسان والطبيعة. ومن ثم، فإنّ الرهانات الكبرى على معنى الريف والمدينة، وحدود كل منهما، هي رهانات أيديولوجية، تكشف عن الطابع التاريخي والجدلي لتمفصل الوعي المعيشي بالممارسة المادية، وللصراع من أجل إعادة بناء العالم الرمزي بوصفه شرطًا لإعادة بناء العالم المادي.

ثالثًا: الريف والمدينة

تظل تعبئة التمايزات بين المدينة وأطرافها – وهي تعبئة تحدّتها كتابات حديثة – متجذرةً في الإرث الاستعماري، كما يتّضح ضمن المقاربة الغرامشية لمادية العلاقات المكانية وتاريخانيتها[118]. ويتطلّب فهم نشوء هذه التمايزات بين المدينة والأطراف تحويل الانتباه إلى سيرورات التشييء المستمرة وما يترتّب عليها من عواقب أيضية Metabolic Consequences. وتتحرك هذه التصنيفات المكانية وتتجدد عبر مسارات "التوسع الحضري الممتد"، التي بيّن روبرتو مونتي-مور وريتا كاستريوتا[119] أنها تقع في صلب عملية إعادة التشكيل المستمرة للسلطة الرأسمالية؛ أي إن العنصر السياسي الكامن في إنتاج "داخلٍ" أو "خارجٍ" حضريٍّ يفرض نفسه على فضاءات أخرى في أماكن مختلفة. ومن ثم، لا يُعدّ إنتاج مواقع حضرية طرفية انحرافًا أو استثناءً، بل عقدة حاسمة في سيرورات التوسع الحضري الرأسمالي والاستعماري[120].

نرى هذا المنظور في عدد من الدراسات التي تُقيم جسرًا بين الإيكولوجيا السياسية الحضرية ونقد الشعبوية. ففي تحليل لافت، يبيّن ستيفان كيبفر وباراستو سابيري[121] كيف استخدمت سياسة روب فورد Rob Ford[122] الرجعية في تورونتو التمدّد العمراني في الضواحي وقودًا لتغذية أجندة قائمة على الخصومة والعداء. وقد عمد

---

114 Rehmann.

115 Thomas.

116 Rehmann.

117 Ibid., p. 146.

118 ينظر:
Stefan Kipfer, "City/ Country Hegemony: Antonio Gramsci's Spatial Historicism," in: Ekers et al. (eds.), pp. 93-94.

119 Roberto Luís Monte-Mór & Rita Castriota, "Extended Urbanization: Implications for Urban and Regional Theory," in: *Handbook on the Geographies of Regions and Territories*, Anssi Paasi, John Harrison & Martin Jones (eds.) (Cheltenham/ Northampton: Edward Elgar, 2018), pp. 332-345.

120 Martín Arboleda, "Circuits of Extraction and the Metabolism of Urbanization," in: Kaika et al. (eds.), pp. 91-104.

121 Kipfer & Saberi.

122 رجل أعمال وسياسي شعبوي كندي (1969-2016)، عضو مجلس بلدية تورنتو مدة عشر سنوات، وعمدة مدينة تورنتو (2010-2014). (المترجمة)

العمدة فورد عن قصد إلى توظيف التقابلات الترابية Territorial Juxtapositions لبناء سردية عن صراع اجتماعي؛ ما شوّه الديناميات السياسية - الاقتصادية الأوسع المرتبطة بتراجع التصنيع في ضواحي المدينة. وفي فرنسا، بُنيت انقسامات مكانية مشابهة، وكان للمحللين السياسيين دور بارز في ترسيخها. فعلى سبيل المثال، ينتقد كيبفر وديكيتش [123] تصوّر كريستوف غيوي [124] المثالي عن "فرنسا الريفية" الذي يضعه في مواجهة متخيَّلٍ مكاني آخر هو **الضواحي** *Banlieues* بوصفها فضاءات يطغى عليها ما يسميه "انعدام الأمن الثقافي". وتُجسّد قراءة غيوي الانتقائية للخرائط الانتخابية التمايزاتِ العرقيةَ والمكانية في أقاليم محددة، فتصِم الضواحي وتُضفي شرعية على الإجراءات القمعية التي تتخذها الدولة الفرنسية داخلها. ولا يعدو استدعاء صورة ريفية حالمة أن يكون استبدالًا لتجريدٍ زائف بآخر، ولكنه يخفي "العلاقات الإمبريالية والنيوكولونيالية التي تتقاطع مع الجانبين"[125].

يرى ديكيتش[126]، عند تفكيك الدوافع السياسية الكامنة خلف هذه الخطوات، أن الاستخدام الخطابي لمفهوم "الأطراف الخلفية" Hinterlands يُنتج "أيديولوجيا قائمة على الأمننة" Securitarian Ideology؛ وهي أيديولوجيا تُستدعى غالبًا لحشد تأييد شعبوي ذي نزعة سلطوية. وفي السياق نفسه، قدّم نيل برينر ونيكوس كاتسيكيس[127] نقدًا مماثلًا، موضحَين ضمن إطار الإيكولوجيا السياسية الحضرية كيف تسهم "الأطراف" في خدمة النمو الرأسمالي الحضري. وفي دراسة أحدث، يبيّن جاريد رودنبايكر[128] كيف جرى توظيف أشكال جديدة من تكتيكات "الفزع الأحمر"، أو فزاعة الشيوعية Red Scare Tactics، لتصوير استحواذ الصين على الأراضي في إقليم الغرب الأوسط الأعلى في الولايات المتحدة بوصفه جزءًا من تهديد أجنبي خطِر. وفي هذا الصدد، وعلى خلاف حالة فورد في كندا، يُعاد تخيّل "الأطراف" بوصفها خطرًا جيوسياسيًا ضمن سياق مفصلي عالمي جديد. وتشير هذه الدراسات مجتمعةً إلى أن المطالب المكانية ليست أمرًا سلبيًا أو مؤذيًا في حد ذاتها، لكنها تتحول في لحظات بعينها إلى أداة لإدانة اللاشرعية والفوضى، وإنتاج "آخر مكاني"[129]. وتحمل مثل هذه الإدانات تبعات مباشرة على أنماط حوكمة تلك الفضاءات وسكانها؛ إذ إن وصم الضواحي يكشف في جوهره عن نزعات عنصرية ومعادية للأجانب[130]. وبناء عليه، فإن التمثيلات المنحازة إلى "مركزٍ متقدمٍ اجتماعيًا"، كما في الحالتين الفرنسية والكندية، تُعيد تشكيل شروط الإمكان في "آخَرِها المكاني". فليست إعادة إنتاج الفضاء، ضمن ممارسات التشييء المكاني، مجردَ ممارسة خطابية؛ "إنها، بوصفها نتاجًا بشريًا ... تترك أثرًا مباشرًا في حيوات المقهورين والمهمَّشين ونضالاتهم التي تتحدَّد عبرها علاقات القوة"[131].

ويتيح أخذ هذه المطالب على محمل الجد لنا تبيّن مدى أهمية التشييء المكاني Spatial Reification في بناء الهيمنة، سواء أكانت برجوازية أم بروليتارية[132]. فالتصورات بشأن السمة "الريفية" و"الحضرية"، عندما تُقدَّم بوصفها حقائق ثابتة ومُشيَّأة Reified Notions، تُستَخدم مرارًا ضمن "مطالب الهيمنة". ومن خلال رصد أوجه التقاطع بين تناول غرامشي للمسألة المكانية من جهة، وأفكار هنري لوفيفر وفرانز فانون من جهة أخرى، يطوّر كيبفر[133] مقاربة ماركسية ذات أبعاد مكانية ومناهضة للاستعمار Spatialized Anti-colonial Marxism[134]. وعلى نحو أكثر تحديدًا في حالة غرامشي، يوضح كيبفر[135] أن التيارات القومية الريفية والحضرية المتنافسة في إيطاليا "أعادت إنتاج الاحتقار الفكري الشائع الواسع للتجارب المعيشة لدى عامة الإيطاليين؛ إذ اختزلت الثقافة الشعبية الريفية في فولكلور مُزَخرَف Picturesque، أو عبر الارتقاء بالحياة الحضرية إلى كوزموبوليتية سطحية ومنزوعة الطابع القومي". وعلى الرغم من أن كلا التيارين سعى لتعبئة أجندة فاشية، فإن البرنامجين السياسيين الإيطاليين بالغا في تبسيط الترابطات بين الفضاءات المتداخلة جغرافيًا، والموسومة آنذاك بـ "الريفي" و"الحضري". في

123 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

124 Christophe Guilluy, *La France périphérique: Comment on a sacrifié les classes populaires* (Paris: Champs Actuel, 2014).

125 Stefan Kipfer & Mustafa Dikeç, "Peripheries against Peripheries? Against Spatial Reification," in: *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*, p. 36.

126 Mustafa Dikeç, "Immigrants, Banlieues, and Dangerous Things: Ideology as an Aesthetic Affair," *Antipode*, vol. 45, no. 1 (2012), p. 17.

127 Neil Brenner & Nikos Katsikis, "Hinterlands of the Capitalocene," in: Kaika et al. (eds.), pp. 105-128.

128 Jared Rodenbiker, "Global China in the American Heartland: Chinese Investment, Populist Coalitions, and the New Red Scare," *Political Geography*, vol. 111 (2024).

129 Dikeç, "Disruptive Politics," pp. 49-54.

130 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

131 Stefan Kipfer & Ananya Mallick, "'Stretch' and 'Translate': Gramscian Lineages, Fanonist Convergences in the (Post) Colony," *Historical Materialism*, vol. 30, no. 4 (2022), pp. 151-152.

132 Stefan Kipfer, "City Country Hegemony: Antonio Gramsci's Spatial Historicism," in: Ekers et al. (eds.), pp. 83-103.

133 Ibid., pp. 83-103; Kipfer & Mallick, pp. 137-173.

134 Kipfer & Mallick.

135 Ibid., pp. 83-103.

المقابل، أدرك غرامشي[136] أن أيّ ائتلاف شعبي لا يمكن أن يصبح مهيمنًا إلا من خلال فهم الكيفية التي يمكن عبرها تسليط الأضواء، مكانيًا وزمانيًا، على التجربة المعيشة.

تُفضي هذه الأعمال إلى فهم علائقي Relational قائم على السيرورات أو العمليات، يرفض تقسيم العالم إلى ثنائيات بين مركزٍ وأطراف أو حَضَرٍ وضواحٍ. ومن خلال ذلك، يتحدّى الأسس التي بُنيت عليها السرديات المكانية التي تَغذّت بالتضادّ الجوهري الذي تَستمد منه الشعبوية قوتها المادية. وغالبًا ما يجري إنتاج تشييء هذه الثنائيات المكانية من خلال الخطاب القانوني، كما يُظهر جوشوا إنوود[137] في حالة توظيف ترمب لـمركزية الهوية البيضاء بوصفها سياسة مضادّة للثورة. وتنعكس سرديات صناعة "الآخر" Othering أيضًا في الخطاب الدستوري المحافظ السائد في الولايات المتحدة[138]، وتتجسّد ماديًا في محاولات مكانية لفرض التجانس المجهض للاختلافات، مثل ما عُرف بـ "الاستراتيجية الجنوبية"[139] Southern Strategy[140].

ويمكن تعزيز إدراك الشعبويين السلطويين لكيفية استخدام الثنائيات المكانية - وكيفية إنتاجها وإعادة إنتاجها - من خلال مقاربة جدلية للبيئات اليومية Everyday Environments[141]. والأهم من ذلك أن الإيكولوجيا السياسية الحضرية، كما نسعى لتطويرها، تمكّننا من وضع الحياة اليومية، التي يجري تشييئها في ظل التعبئة الشعبوية اليمينية، في سياقها على نحو أفضل. ومن شأن تبنّي منظور يرى أن الدعم الشعبوي لا يعلو "فوق" الناخبين، بل يتشكل دائمًا بالاقتران مع التجارب المعيشة ومن خلالها، أن يُبرز الحاجة إلى تصورات ومخاييل بديلة[142].

رابعًا: وضع احتجاجات المزارعين الهولنديين في سياقها

يحجب تشييءُ المكان، كما نرى في احتجاجات المزارعين الهولنديين، العمليات الاجتماعية - الإيكولوجية الممتدة التي يجري من خلالها إنتاج تنمية غير متكافئة. وتوفر عمليات الحجب الأرضيةَ التي صيغت عليها مشروعات سياسية يمينية. وتمثل حركة المزارعين الهولنديين، على أبسط مستوى، رد فعلٍ على **ما يبدو** أنه خطوات حكومية لخفض انبعاثات النيتروجين؛ وبسبب غياب استراتيجية متماسكة للتعامل مع الانبعاثات، غالبًا ما استجاب المزارعون للمقترحات المبهمة المتضمَّنة في السياسات التي تهدف إلى تقليص حجم قطعانهم في المزارع المجاورة للمناطق المحمية. ومنذ أن طالبت المحكمة العليا الهولندية، في عام 2019، الحكومة بالتعامل مع ارتفاع انبعاثات النيتروجين، كانت الخطوة الملموسة الوحيدة التي اعتمدتها برنامجًا طوعيًا لشراء مزارع المزارعين. ومن المفارقات، كما أشار أصحاب الاختصاص في علم الفيزياء[143]، أن هذا البرنامج من المرجّح أن يكون له تأثير محدود في خفض الانبعاثات، ولم يجذب حتى الآن المستوى نفسه من الإقبال لدى "أكبر المسبّبين للانبعاثات"؛ ما قلّل من فعاليته في خفضها. في المقابل، ونظرًا إلى ضرورة استهداف البنية التحتية والزراعة معًا، جرى استثمار توترات كبيرة حول تصورات الحضري والريفي[144]. أما أكبر المسبّبين لانبعاث النيتروجين، مثل تاتا ستيل Tata Steel يليها مطار سخيبول Schiphol Airport، فلم تُتخذ في حقهم إجراءات ملموسة لإجبارهم على خفض الانبعاثات. وقد تفاقمت هذه التوترات بفعل نظريات المؤامرة المتداولة بين اليمين المتطرف في أوروبا[145]، وكذلك عبر رفض الحدود الإيكولوجية

136 Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*, Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds. & trans.) (London: Lawrence and Wishart, 1971).

137 Joshua Inwood, "White Supremacy, White Counter-Revolutionary Politics, and the Rise of Donald Trump," *Environment and Planning C: Politics and Space*, vol. 37, no. 4 (2019), pp. 579-596.

138 Richard Wright, "Whiteness Nationalism and the U.S. Constitution: Constructing the White Nation through Legal Discourse," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 111, no. 7 (2021), pp. 2062-2077.

139 Joshua Inwood, "Neoliberal Racism: The Southern Strategy and the Expanding Geographies of White Supremacy," *Social & Cultural Geography*, vol. 16, no. 4 (2015), pp. 407-423.

140 استراتيجية سياسية انتخابية اعتمدها الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، خاصة منذ عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، بهدف استقطاب الناخبين البيض في ولايات الجنوب بعد تفكك التحالف الديمقراطي التقليدي هناك، في إثر تفاقم التوترات العرقية. وقد وظف الجمهوريون خطابًا عنصريًا معاديًا للأميركيين الأفارقة، ما دفع بهم أكثر فأكثر نحو اليمين. (المترجمة)

141 Stefan Kipfer, "Why the Urban Question Still Matters," in: Roger Keil & R. Mahon (eds.), *Towards a Political Economy of Scale* (Vancouver: UBC Press, 2009), pp. 67-83; Alex Loftus, *Everyday Environmentalism: Creating an Urban Political Ecology* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2012); Alex Loftus & J. Gort, "Populist Political Ecologies? Urban Political Ecology, Authoritarian Populism and the Suburbs," in: Kaika et al. (eds.), pp. 265-283.

142 Büscher & Fletcher; Bram Büscher & Robert Fletcher, *The Conservation Revolution: Radical Ideas for Saving Nature beyond the Anthropocene* (London/ New York: Verso, 2020).

143 Gerard H. Ros et al., *Gebieds-en bedrijfsgerichte handelingsperspectieven voor een duurzame landbouw in Nederland* (Wageningen: Wageningen University & Research, 2023), p. 77.

144 Tessa Huijsmans & Eva Miltenburg, "De kloof tussen stad en platteland bestaat niet (tenzij je het er steeds over hebt)," *De Correspondent*, 12/6/2023, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BPBo

145 Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

التي تقوم عليها التشريعات[146]. ولفهم السياق الحضري الممتد الذي نشأت فيه الحركة، من المهم وضع اللحظة الراهنة ضمن سياق تاريخٍ حديثٍ لحركات المزارعين الهولنديين.

كانت حركات المزارعين في هولندا تتفاعل أساسًا مع تغيّرات (محتملة) تحيط بالحقل السياسي - الاقتصادي للزراعة. وقد أدت التغيرات في السياسات الحمائية الوطنية والتشريعات البيئية والإنتاج الزراعي العالمي إلى اندلاع احتجاجات تقريبًا كل ثلاثين عامًا منذ بداية القرن العشرين. وجادل فان دير بلوخ[147] بأن أوجه التشابه بين هذه الحركات تكون غالبًا ذات طبيعة خطابية؛ إذ كانت كل حركة توجّه نفسها ضد "أسلوب ممارسة الحكم"، وتتبنّى خطابات "معادية للإستبليشمنت" Anti-establishment[148] و"الحرية" و"ريادة الأعمال" Entrepreneurship. فعلى سبيل المثال، قد تكون حركة **الزراعة والمجتمع** *Landbouw en Maatschappij* في الثلاثينيات مختلفة من ناحية أن نشاطها كان يمثّل المـزارعين الصغار، لكن فان دير بلوخ يذكر أن أنصارها كذلك "شعروا أنهم غيرُ مفهومين، ومهجورون، ومُبعَدون عن المجتمع". أمّا الحركة التالية في الستينيات، كما يضيف، فقد تشكّلت حول اعتقادٍ مشترك لدى المزارعين بحرّية ريادة الأعمال الزراعية التي ينبغي ألا تُقيَّد بتشريعات حكومية. أما احتجاجات التسعينيات، على الرغم من أنها جمعت طيفًا متنوعًا من المـزارعين، فقد اتحدت أيضًا حول عدوٍّ مشترك معادٍ للبرلمان Anti-parliamentary Enemy. ومن منظور علائقي، يبرز فان دير بلوخ[149] أهمية الروابط المشتركة ذات الطابع الأدائي - الوجداني بين هذه الحركات.

ومع ذلك، يشير تحليله أيضًا إلى الظروف التاريخية والجغرافية المحددة التي تجذّرت فيها حركات المزارعين الشعبية سابقًا في لحظتها. والجوهري في حجّتنا، اتباعًا لخطى هارت[150]، هو أن هذه الحركات تُظهر أيضًا العلاقات الأيضية والأيديولوجية والحضرية التي حاولت الحركات الشعبوية صياغتها عبر مواجهات وخصومات بعينها. فعلى سبيل المثال، لم تستند احتجاجات الثلاثينيات، التي ركّزت على دعم صغار المزارعين، إلى السرديات الاجتماعية والثقافية إلا في المراحل الأخيرة من الحركة[151]. وبدلًا من ذلك، أمضى قائد الحركة الرئيس، يان سميد Jan Smid، معظم العشرينيات في الضغط على النقابات لتبنّي سياسات حمائية تهدف إلى مواجهة تبعيات زيادة الإنتاج الزراعي العالمي[152]. وبناء عليه، كانت حركة **الزراعة والمجتمع** في جوهرها استجابةً لتصاعد التصنيع والتحضّر الذي تجلّى على نحو غير متكافئ؛ إذ ظلّ كثير من صغار المزارعين متأخرين عن مواكبة تضخّم الدخل وارتفاع الأسعار[153].

وتبلورت الحركات اللاحقة، مثل حركات التسعينيات، حول التحولات في العلاقات الأيضية للزراعة. ففي تلك الفترة، تكتّل كلٌّ من صغار المزارعين وبعض مربّي الخنازير الصناعيين حول مطلب برامجي مشترك، تمثّل في معارضة التخفيضات العامة في أعداد قطعان الخنازير التي تجري تربيتها[154]، ومع ذلك، لم يكن تقليص أعداد هذه القطعان سوى أداة ضمن سلسلة من الإجراءات التي استهدفت تلبية الحاجة إلى إدخال نظام المحاسبة الغذائية Nutrient Accounting على مستوى المزرعة لتتبّع المغذيات، في محاولة لمعالجة الآثار الملوِّثة للفائض من روث الحيوانات Manure Surpluses[155]. وقد أثارت هذه المحاولات الرامية إلى معالجة الاختلال الأيضي في الزراعة - حيث

146 حول استخدام القياسات البيئية بوصفها مؤشرًا على الحدود البيئية Ecological Limits، يمكن الاستفادة من المقارنة بين ردود فعل مؤسسات التخطيط، ينظر:
Planbureau voor de Leefomgeving (PBL), *Naar een uitweg uit de stikstofcrisis: Overwegingen bij een integrale, effectieve en juridisch houdbare aanpak* (Den Haag: Planbureau voor de Leefomgeving, 5/7/2021, accessed on 28/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPkv;

وعلماء المناخ، ينظر:
Wim de Vries, Han van Dobben & Wieger Wamelink, "Kritische depositiewaarden zijn bruikbaar voor landelijk beleid," *Nature Today*, 5/9/2022, accessed on 28/5/2025, at: https://acr.ps/1L9BORt;

والأطروحات المتشككة، ينظر:
William M. Briggs & Jan C. Hanekamp, "Nitrogen Critical Loads: Critical Reflections on Past Experiments, Ecological Endpoints, and Uncertainties," *Dose-Response*, vol. 20, no. 1 (2022), pp. 1-10;

والأطروحات التآمرية المعادية للبيئة، ينظر:
Arnout Jaspers, *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby* (Amsterdam: Blauwburgwal, 2023).

147 Jan Douwe van der Ploeg, *Over de betekenis van verscheidenheid* (Wageningen: Landbouwuniversiteit Wageningen, 1993).

148 Ibid., p. 96.

149 Ibid.

150 Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," pp. 233-238; Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

151 J. H. de Ru, "Landbouw en maatschappij: Analyse van een boerenbeweging in de crisisjaren," PhD Dissertation, Wageningen University, 1980, pp. 251-258.

152 Ibid.

153 Evert Willem Hofstee, "Opmerkingen aangaande de historische ontwikkeling van de regionale loonverschillen," in: *Het vraagstuk der gemeente-classificatie* (The Hague: Staatsuitgeverij, 1951), pp. 14-42; Evert Willem Hofstee, "Sociale en economische ontwikkelingen in de plattelandssamenleving 1935–1985," in: G. A. de Lange, C. T. Zelvelder-Van der Laan & J. P. Burema (eds.), *Huishouding, voorlichting en wetenschap: 50 jaar Stichting voor Huishoudelijke en Consumentenvoorlichting-HVP* (Amsterdam: Nijgh & van Ditmar, 1985), pp. 91-113.

154 Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

155 J. A. Breembroek et al., "Environmental Farm Accounting: The Case of the Dutch Nutrient Bookkeeping System," *Agricultural Systems*, vol. 51, no. 1 (1996), pp. 29-40.

ساهمت الأسمدة في زيادة حادّة في مخزون النيتروجين في التربة الزراعية وما يجاورها – سلسلةً من الاحتجاجات ضد ما اعتُبر مرةً أخرى قواعد بيروقراطية مفروضة.

المهم هنا أن التوترات كانت قائمة في الوقت نفسه "داخل جهاز الدولة [...] وكذلك داخل اللوبي الزراعي"، كما يذكّرنا جاب فـرووس[156]. ومع أن تقليص أعداد قطعان الخنازير انتهى عند حدٍّ أقصى بلغ 10 في المئة، فإن الاحتجاجات التي استهدفت التشريعات الخاصة بالأسمدة أبانت تناقضاتٍ متزايدةً بين أنواع المزارعين المشاركين فيها. فعلى الرغم من أن الخطاب الاحتجاجي بُني على حماية "المقاول/ رائد الأعمال الزراعي" Agricultural Entrepreneur[157]، فإن تنوّع المزارعين المشاركين في الاحتجاجات كشف عن ممارسـات زراعية آخذة في التمايز؛ إذ توزّعوا على طيف واسع من مستويات التكثيف الزراعي[158]. ومع ذلك، كان الاستنتاج التشريعي للحظة التسعينيات متمحورًا حول التنظيم الذاتي Self-Regulation على مستوى المزرعة. ومن ثم، يجادل فرووس بأن الصراعات حول تقليص استخدام الأسمدة أفضت إلى نشوء نسق تنظيمي Regulatory System يقوم على نحو متزايد على مبادئ "'التنظيم الذاتي' Self-Regulation التي تنتهجها المنظمات الزراعية، وهو ما يتطلّب تحميل المـزارعين الأفراد أنفسهم المسؤولية والمبادرة"[159].

يبدو من الطبيعي، في ضوء الحركات السابقة، لا سيما التي شهدتها التسعينيات، أن يرى فان دير بلوخ[160] أن مسألة النيتروجين الحالية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين محاطة بـ "نظام اجتماعي - تقني" متكامل. ويوضح، في كتابه الأخير، **مغلقٌ بسبب النيتروجين** *Gesloten Vanwege Stikstof*، أن الزراعة الهولندية أفرزت مشكلة من صنع يديها، لكنها مشكلة يصعب السيطرة عليها. وليس من المستغرب أن تأتي صادرات الزراعة الهولندية في المرتبة الثانية عالميًا بعد الولايات المتحدة من ناحية القيمة الاقتصادية، ويضطلع ميناء روتردام بدور رئيس في إعادة تصدير جزء كبير من هذه المنتجات. أما بقية الصادرات الضخمة، فلم يكن في الإمكان تحقيقها إلا من خلال تكثيف زراعي كبير وزيادة حادة في استخدام الطاقة والمياه والمواد الكيميائية.

استمرت انبعاثات النيتروجين والميثان في الارتفاع، مع ازدياد أعداد الثروة الحيوانية. ويُعد النيتروجين عنصرًا أساسيًا للحياة النباتية. وفي الواقع، يشير الصدع الأيضي الذي ناقشه ماركس[161] (مستندًا إلى أفكار فون ليبيغ)، في **رأس المال: المجلد الثالث**، إلى انخفاض خصوبة التربة نتيجة تقلّص المخلفات البشرية والحيوانية في المناطق الريفية بعد عملية التوسع الحضري خلال الثورة الصناعية. ومع ذلك، شهدت هولندا اختلالًا في الاتجاه المعاكس؛ إذ أدت الزيادات الكبيرة في استخدام الأسمدة الكيميائية وروث الحيوانات إلى ارتفاع مستويات الأمونيا في الغلاف الجوي بالتزامن مع زيادة حموضة التربة، وظهور تكاثر الطحالب في المسطحات المائية، وتفاقم أضرار كبيرة في التنوع البيولوجي[162]. وفي حين عاد عدد قليل من المزارعين إلى دورة نيتروجين "متوازنة"، قائمة على تعديلات نوعية في تغذية الماشية وإدارة المراعي[163]، تظل هذه الممارسـات المتوازنة غالبًا الاستثناء لا القاعدة[164].

اضطرت الحكومة الهولندية مرةً أخرى، بعد تجاهل المشكلة سنوات عديدة، بل تفاقمها من خلال تشجيع المزيد من التكثيف الزراعي وإعفاء بعض أسوأ المسببين للتلوث، إلى مواجهة مسألة النيتروجين. وقد أُجبِرت على ذلك نتيجة سلسلة من الدعاوى القضائية التي رفعتها المنظمات غير الحكومية البيئية، بما في ذلك حملة **مؤسسة أورجيندا** *Urgenda Foundation* المستمرة في نشاطها (2015–2023)، إلى جانب تحركات **غرينبيس** *Greenpeace*[165]، وحركة **التعبئة من أجل البيئة** *Mobilization for the Environment* المعروفة بفاعليتها

156 Jaap Frouws, "Mest en macht: Een politiek-sociologische studie naar belangenbehartiging en beleidsvorming inzake de mestproblematiek in Nederland vanaf 1970," PhD Disseration, Wageningen University, 1994, p. xi; Jaap Frouws, "The Manure-policy Process in The Netherlands: Coping with the Aftermath of the Neocorporatist Arrangement in Agriculture," in: Eirik Romstad, Jesper Simonsen & Arild Vatn (eds.), *Controlling Mineral Emissions in European Agriculture* (Wallingford, UK/ New York: CAB International, 1997), pp. 209-223.

157 Frouws, "Mest en macht."

158 Jan Douwe van der Ploeg, "Over de betekenis van verscheidenheid," Inaugural Lecture, Wageningen University, Wageningen, 25/3/1993.

159 Frouws, "Mest en macht," p. xi.

160 van der Ploeg, *Gesloten Vanwege Stikstof*, p. 15.

161 Karl Marx, *Capital: A Critique of Political Economy*, vol. 1 (London: Penguin Books in association with New Left Review, 1976 [1867]), pp. 65–84.

162 Jan Willem Erisman & Wim de Vries (eds.), *Stikstof: De sluipende effecten op natuur en gezondheid* (Hilversum: Uitgeverij Lias, 2021).

163 J. C. J. Groot, W. A. H. Rossing & E. A. Lantinga, "Evolution of Farm Management, Nitrogen Efficiency and Economic Performance on Dutch Dairy Farms Reducing External Inputs," *Livestock Science*, vol. 100, no. 2-3 (2006), pp. 99-110; van der Ploeg et al.

164 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

165 Greenpeace Nederland, "Waarom Greenpeace een rechtszaak voor de natuur start (en tegen het trage stikstofbeleid)," *Greenpeace Nederland*, 12/7/2023, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BOTh

على الرغم من صغر حجمها[166]. ويبدو أن استجابة الحكومة تمثّلت في محاولة خفض أعداد الثروة الحيوانية من خلال دفع المزارعين إلى تقليل عدد القطيع بتقديم حوافز مالية، أو شراء مزارع كاملة لإخراجها من الإنتاج أو تغيير طريقة استخدامها على نحو أقل تلويثًا. وبعد تحديد الأسوأ في التلوث والمناطق الأشد حساسية لتراكم النترات في التربة (لا سيما تلك المجاورة للمناطق المحمية ضمن برنامج Natura 2000)، أطلقت الحكومة هذه الاستراتيجية المبهمة إلى حد ما، ما أثار غضب قطاع الأعمال الزراعي والمزارعين الذين شعروا باستهداف غير عادل؛ فأدى سوء إدارة الحكومة لهذه الاستراتيجية[167]، وبما يتشابه على نحو لافت مع استراتيجية تقليص أعداد الخنازير في التسعينيات[168]، إلى سهولة تأطير السياسة على أنها صراع بين المزارعين والبيئة، أو بين النخب الحضرية والمجتمعات الريفية المنسية.

يواجه المـزارعـون – وقطاع الـزراعـة الأوسـع – حالة تشابك Entanglement ضمن صراع حول من يحق له التحدث باسم "المزارع"[169]. وبعد استجابتهم بطرائق متنوعة، يبدو أنهم وجدوا أقوى صوت لهم داخل حركة المزارع – المواطن، التي انطلقت، تحت قيادة كارولين فان دير بلاس Caroline van der Plas، الصحافية الزراعية السابقة، من شركة التسويق الزراعي ReMarkAble التي أسستها مع زميلها في الحركة، هنك فيرمير Henk Vermeer. وقد حققت الحركة أكبر عددٍ من المقاعد في جميع الأقاليم الاثني عشر في هولندا خلال الانتخابات الإقليمية الأخيرة في آذار/ مارس 2023. وعلى الرغم من أنها حظيت بأكبر قدر من الاهـتمام في السنوات الأخيرة عقب نجاحها الانتخابي، فإنها محاطة على يمينها بمجموعة متطرفة تكاد تصل إلى الفاشية باسم قوة دفاع المزارعين Farmers Defence Force. وقد انضم زعيم هذه المجموعة إلى الحزب القومي Belang van Nederland (مصلحة هولندا)[170]، وفي أول احتجاج لها عام 2019، لم يُتَح الحديث سوى لزعيمَي اليمين، تييري بوديه Thierry Baudet- Forum voor Democratie, FvD، "منتدى الديمقراطية"، وغيرت ويلدرس Geert Wilders –Partij voor de Vrijheid، "حزب الحرية". وخلافًا لما كان عليه الحال في التسعينيات، حينما نأت الأحزاب السياسية الوطنية بنفسها عن احتجاجات المزارعين[171]، أصبح الحراك الزراعي الواسع اليوم ساحةً يسعى فيها مختلف الفاعلين لاستثمار الاستياء الريفي وتجسيده من خلال إحياء مشروع **قومي**[172].

وبعيدًا عن التأكيدات الأدائية والوجدانية التي أبرزها فان دير بلوخ[173]، نحاجّ بأن النظر عن كثب في حركة المزارعين يكشف عن موضوعات مهمة عديدة تتعلق بتغير **مضمون** الشعبوية اليمينية، في ظل **شكلٍ** متكرر من التشييء المكاني Spatial Reification الذي يضع "ريفًا يجري تصويره متجانسًا" في مقابل "الحضر". أولًا، لقد خدمت استراتيجية الحركة البيئية في هولندا، من نواحٍ عديدة، مصالح الشعبويين اليمينيين، وساهمت في تغذية التجريدات الزائفة False Abstractions التي يستمدون منها قوتهم[174]. ثانيًا، حرصت حركة المـزارعين على تكريس المزيد من السمات المكانية - الزمانية المُشيَّأة Reified Spatio-Temporalities حول صراع النيتروجين. ثالثًا، دارت الصراعات على "ميدان الأيديولوجيا" كما يصوغها غرامشي. ولم تكن الرهانات في هذه الصراعات مرتفعة على نحو يثير الدهشة في هولندا فحسب، بل في أوروبا عمومًا، حيث يبدو أن اليمين المتطرف يشهد عودةً وتصاعدًا من جديد. وأخيرًا، من المستحيل والخطير معًا التعامل مع الحركة الهولندية بوصفها حالةً معزولة؛ فمع تدخل منظّري المؤامرة من جميع أنحاء العالم وظهور احتجاجات المزارعين في بلجيكا وأماكن أخرى في أوروبا، يتضح أن هولندا تواجه مجموعة من القضايا التي باتت شائعة في بلدان أخرى[175]. فيظهر المثال الهولندي، حين يُقرأ في سياق عالمي متشابك، مدى سهولة تمكن الشعبويين اليمينيين من قلب الحجج البيئية رأسًا على عقب إذا لم تتصدَّ الحركات التقدمية في الوقت نفسه للتجريدات الزائفة التي يستمدون منها قوتهم.

166 B. Weijer, "Milieuorganisatie MOB steekt alweer een spaak in het wiel van de Staat en de fossiele industrie. Hoe goed (of slecht) is dat?" *De Volkskrant*, 26/4/2023.

167 F. Hendrickx, "De tijdbom onder het stikstofdossier tikte al twee jaar, maar het ministerie wilde het niet horen," *De Volkskrant*, 28/10/2019.

168 Frouws, "Mest en macht."

169 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

170 T. van der Pal, "Farmers Defence Force wordt geen politieke partij. 'Een boer hoort niet over zorg mee te praten'," *Trouw*, 15/8/2023, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPmy

171 Frouws, "Mest en macht."

172 Yvonne Hofs, "Politieke partijen proberen kritische boeren voor zich te winnen tijdens Het Grote Landbouwdebat," *De Volkskrant*, 19/10/2023; van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

173 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

174 ينظر: Jaspers, *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby*.

175 ينظر، على سبيل المثال، مناقشة سيرا دويتش المماثلة لأجندة بولسونارو المعادية للبيئة، في:

Sierra Deutsch, "Populist Authoritarian Neoliberalism in Brazil: Making Sense of Bolsonaro's Anti-Environment Agenda," *Journal of Political Ecology*, vol. 28, no. 1 (2021), pp. 823-844.

1. "الطبيعة" ضد "الشعب"

لنقتبس مقالًا حديثًا في منصة **بوليتيكو** *Politico*، من السهل تصوير هذا الصراع على أنه يدور حول "حماية الطبيعة، وتدمير حيوات الناس"[176]. وبناء عليه، تتمحور الملاحظة الأكثر مباشرة حول كيفية تمكّن الحكومة الائتلافية الليبرالية من ارتكاب أخطاء سياسية جسيمة فيما يتعلق باستراتيجيتها لخفض النيتروجين. ويصبح السؤال هنا: ما الـذي تسبّب في الانعطاف المفاجئ والدرامي عن السياسات السابقة، التي كانت قد ركّزت على مزيد من تكثيف الزراعة؟[177] ففي حين كان ضغط الاتحاد الأوروبي للحد من الانبعاثات يتزايد، ومع تقلص هامش القدرة على التهرب من اللوائح الأوروبية، أدى الضغط الداخلي دورًا حاسمًا أيضًا، وتمثّل غالبًا في جهود محلية أصغر، مثل مبادرة **التعبئة من أجل البيئة**، التي قادها يوهان فولنبروك. وفي كثير من الأحيان، يجري تصويره بوصفه داود المقدام الذي يواجه جالوت قطاع الأعمال الزراعي والدولة؛ فقد أطلق فولنبروك، الكيميائي المؤهل، سلسلة من الإجراءات القانونية التي أجبرت الحكومة الهولندية على الوفاء بالتزاماتها الخاصة بالحد من الانبعاثات[178]. وكان حكم المحكمة لعام 2019 محوريًا على نحو خاص في إجبار الحكومة على التخلي عن نظام إصدار تصاريح الانبعاثات النيتروجينية. وبناء عليه، كانت احتجاجات عام 2019، إلى حد بعيد، رد فعلٍ على هذا الانعطاف المفاجئ في السياسة الزراعية - حتى وإن كان محتملًا - والذي نتج من ذلك الحكم، وليس ردًا على إجراءات كانت قد تبلورت رسميًا بالفعل.

يبدو فولنبروك، في مقابلاته بصفته ناشطًا بيئيًا ملتزمًا التزامًا عميقًا، محبطًا من عدم استعداد قطاع الأعمال الزراعية والدولة لتغيير النموذج الزراعي الذي يبدو أن ثروات البلاد الاقتصادية تعتمد عليه[179]. وهو واضح في تأكيده أن على المزارعين الانتقالَ بعيدًا عن النموذج الزراعي المكثّف في استهلاك الطاقة والمواد الكيميائية الذي ساد خلال القرن العشرين. وأحيانًا، تبدو لغته قريبة من خطاب أنصار الإيكولوجيا العميقة Deep Ecology[180]، لا سيما حين يميل إلى تصوير البشر بوصفهم جزءًا من الطبيعة في مجادلته بأن تكتيكات حركة **التعبئة من أجل البيئة** تشبه الاستجابة المناعية، حيث يتفاعل النظام نتيجة غياب الرعاية البيئية من جانب الدولة الهولندية. ومع ذلك، تعدّ التكتيكات المستخدمة أقرب إلى ما يُسمى بـ "البيئة القضائية"[181]. يمتلك فولنبروك، بفضل دراسته القانون البيئي إلى جانب الكيمياء، مجموعة مهارات مناسبة تمامًا لمهمة مساءلة الحكومة عن ممارساتها البيئية. ونظرًا إلى هذه التكتيكات - التي فرضتها جزئيًا التغييرات في المشهد السياسي - فقد صورته الصناعة الزراعية على أنه جزء من نخبة بعيدة تدافع عن الطبيعة على حساب "الشعب". وهنا تكمن مفارقة واضحة؛ إذ إن الطعون القانونية التي قدّمها كانت موجّهة إلى الحكومة نفسها. ومع ذلك، كما يقول أرين بوين، فإن مثل هذا التموضع "يُضفي عليه بعدًا بطوليًا، لأن المزارع يُجسّد أسطورة المحلي في مواجهة نخبة بعيدة تقبع في أبراج زجاجية، تضع سياسات لا يفهمها أحد"[182].

ونجد تأكيدات مشابهة في الأطروحات السوسيولوجية بشأن ما يُعرف بـ "حروب النيتروجين"، كما وصفها توليس[183]. فعلى سبيل المثال، يكتب فان دير بلاس قائلًا إن "الممارسة الزراعية تنفصل على نحو متزايد عن الطبيعة"، حيث تجري إزاحة "عوامل النمو الطبيعية واستبدالها بعوامل نمو صناعية"[184]. والنتيجة، في رأيه، هي تهميش المجتمع لصالح الاقتصاد والتكنولوجيا. لكن هذا التصور، من وجهة نظرنا، يُقلل من شأن التغيرات العلائقية التي تحدث عندما تُعاد مركزة الإنتاج الزراعي – الإيكولوجي Agro-Ecological مكانيًا، وهو أمر حصل على نحو خاص بعد احتجاجات التسعينيات[185]. وكما يجادل جيسون مور، "ينطوي ذلك على إعادة هيكلة نوعية

176 Karl Mathiesen, "Protecting Nature, Destroying Lives: The Chemist vs. the Dutch Farmers," *Politico*, 9/3/2023, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPJd

177 G. J. Borger, "Opinie: Een onvermogende overheid en het stikstofdossier," *Geografie* (online), 15/11/2020, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPM7

178 Mathiesen.

179 Joep Schoorl & Tjerk Kreling, "De apocalyptische toekomstbeelden van de stikstofbestrijder des vaderlands," *De Volkskrant*, 18/2/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPuW; "Sven op 1 met Johan Vollenbroek," *Sven op 1* (Podcast, *NPO Radio*), 1/11/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPpK

180 ينظر:
Arne Næss, "A Defence of the Deep Ecology Movement," *Environmental Ethics*, vol. 6, no. 3 (1984), pp. 265-270; George Sessions, "Deep Ecology as Worldview," *The Bucknell Review*, vol. 37, no. 2 (1993), pp. 207-218.

181 Asif Mehmood & Joshua J. Cousins, "Judicialising Urban Political Ecologies: Post-Politics and Environmental Governance in South Asia," *Antipode*, vol. 54, no. 6 (2022), pp. 1944-1964.

182 Patrick Smith, "How Dutch Farmers Became the Center of a Global Right-Wing Culture War," *NBC News*, 12/12/2022, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BPnE

183 Tullis.

184 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*, p. 31.

185 Frouws, "Mest en macht."

لمجمل العلاقات الزراعية: البنية الطبقية، ونطاق المدخلات المطلوبة، والبنية التحتية للنقل، وتنظيم المال والائتمان، وتقنيات الزراعة"[186]. والحجة ههنا هي أن خصوبة التربة، ومن ثم مسألة النيتروجين، ليست مسألة طبيعية بحتة، بل هي متشابكة مع قوى متعددة وواسعة تحدد العلاقات الاجتماعية - الطبيعية[187]. وبعبارة أخرى، تتيح إعادة تأكيد علاقة مبسطة بين "الطبيعة" و"الشعب" (أو المزارعين) فرصة سهلة أمام اليمين الشعبوي لاستغلال هذه الحجة، لأن الحجة المضادة ستكون ببساطة: المزرعة نفسها تحتوي على "طبيعة"، أو كما قالت قائدة حركة المزارع - المواطن، فان دير بلاس، في إحدى مقابلاتها: "هناك طبيعة أيضًا في الأراضي الزراعية. هناك أيضًا حشرات في المزارع"[188].

2. السمات الزمانية المكانية الواقعية والمتخيَّلة

تقوم استراتيجية حركة المزارعين الهولنديين، كما أوضح بوين سابقًا، على خصومة مكانية محورية، هي "المحلي" في مواجهة "البعيد"، أو على نحو أدق: الريفي في مواجهة الحضري. ولا شك في أن هذه المخاييل المكانية ليست جديدة بطبيعة الحال على الفاعلين في الحملات البيئية. وتكمن المفارقة في أنها كانت أساسية أيضًا في التعبئة لمواجهة أنماط محددة من اللاعدالة البيئية، بل إن حركة العدالة البيئية درجت على تقديم مقاربات أشد تعقّدًا لإعادة بناء الواقع العياني، عبر الكشف عن الأبعاد الطبقية والجندرية، وقبل كل شيء، العرقية للاعدالة البيئية في كل سياق[189]. أما حركة المزارعين، فقد استبعدت تلك المحددات من الحسبان، وطرحت خصومة بسيطة قوامها الشعب/ الريفي/ المحلي في مواجهة النخبة/ المديني/ البعيد. وهي مقاربة متجذّرة في استراتيجيات مألوفة لدى الشعبوية اليمينية التي تسعى لموضعة نفسها بوصفها القادم الشرعي من خارج النظام Rightful Outsider في مواجهة الإستبليشمنت[190]/ النخبة. وتُعرض هذه الرؤى في أماكن أخرى أيضًا، على نحو يشبه رؤية روب فورد المُسيّسة عرقيًا لمدينة تورونتو[191]، وموقف بولسونارو المناهض للبيئة[192].

من ناحية أولى، يقوم هذا التأطير المكاني على شروط مادية ملموسة. فالمزارعون، الذين يرون أنفسهم جزءًا من المخيال السياسي للريف، يوجّهون ردود أفعالهم نحو السياسات التي يضعها سياسيون يُنظر إليهم بوصفهم ممثّلي المخيال الحضري في المدن. والفكرة الأساسية هنا أنّ السياسيين الموجودين في لاهاي يُنظر إليهم على أنهم يتصرفون بناءً على مراسيم صادرة عن سياسيين آخرين يقيمون في مدينة كبرى أخرى، هي بروكسل، وهي الأبعد عن الواقع الريفي. ومع ذلك، يُخفي هذا التأطير المكاني البسيط علاقات أشد تعقدًا، شكّلت أساس ازدهار الزراعة الهولندية على مدى القرون الماضية. ويُلمح توليس إلى هذه العلاقات حين ينقل عن الصحافي والكاتب غيرت ماك Geert Mak قوله بشأن التكامل بين المدينة والريف في تخطيط القرن العشرين في هولندا: "إن سكان المدن والريف في هولندا ظلّوا متصلين ماديًا وثقافيًا، أكثر مما كانوا عليه في كثير من البلدان المتقدمة الأخرى"[193].

ومع ذلك، تشير فكرة دمج "الريفي" ضمن "الحضري" أيضًا إلى أن هذه المفاهيم تظلّ تصورات وصفية. وباعتبار الزراعة في هولندا من بين أكثر الزراعات تطورًا من الناحية التقنية على مستوى العالم، فإن الاستخدام الوصفي لهذه العمليات التفاعلية يُضفي بوضوح طابعًا إشكاليًا حادًّا على فكرة "نمط حياة ريفية" قائم على ممارسات زراعية مثالية. وبدلًا من ذلك، نشأت الزراعة الهولندية والاقتصاد الهولندي من علاقة تكافلية بين الريف والمدينة Rural-urban Symbiosis، ولا يزالان متجذرَين فيها. وقد انبثقت هذه الأطروحة حول التكافل الريفي - الحضري من سلسلة من النقاشات بين الاقتصاديين الماركسيين والكلاسيكيين بشأن إمكانية اعتبار الجمهورية الهولندية مثالًا مبكرًا للدولة الرأسمالية، أم

186 Jason W. Moore, "Metabolic Rift or Metabolic Shift? Dialectics, Nature, and the World-Historical Method," *Theory and Society*, vol. 46 (2017), p. 306.

187 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164; Moore, pp. 285-318.

188 Yvonne Hofs, "Het stikstofprobleem volgens Caroline van der Plas (BBB): 'Ook op landbouwgrond is natuur'," *de Volkskrant*, 21/1/2023.

189 على سبيل المثال:
Laura Pulido, "Geographies of White Supremacy and Ethnicity I: White Supremacy vs. White Privilege in Environmental Racism Research," *Progress in Human Geography*, vol. 39, no. 6 (2015), pp. 809-817; Laura Pulido et al., "Environmental Deregulation, Spectacular Racism, and White Nationalism in the Trump Era," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 520-532.

190 نسير على خطى أنصار نقحرة المصطلح بدلًا من تعريبه بالمؤسسة أو النظام، بعد أن بات جزءًا لا يتجزأ من الخطاب الشعبوي، السياسي والأكاديمي. تضم الإستبليشمنت، من منظور أدبيات الشعبوية، النخب السياسية، فضلًا عن النخب الاقتصادية والإعلامية والثقافية، التي تلتف حول مشروع شعبوي ما. ينظر مثلًا: يان زيمان، "الشعبوية تتجاوز الأمة"، في: **الشعبوية والسياسة العالمية: سبر الأبعاد الدولية والعابرة للحدود**، فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز (محررون)، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 77. (المترجمة)

191 Stefan Kipfer & Parastou Saberi, "From Revolution to Farce? Hard-Right Populism in the Making of Toronto," *Studies in Political Economy*, vol. 93, no. 1 (2014), pp. 127-152.

192 Deutsch, pp. 1-22.

193 Tullis.

أنها أقرب إلى مجتمع رأسمالي في بعض النواحي الأساسية، لكنها تفتقر إلى العلاقات الاجتماعية أو الاقتصاد السوقي الذي يعرّفها بوصفها دولة رأسمالية[194]. واستنادًا إلى تفسيرات تاريخية أحدث لما يُعرف بـ "المعجزة الهولندية"، يرى بيبين براندون أن الانتقال من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالية جرى جزئيًا من خلال "تكافل حضري - زراعي"[195]. ويتجه براندون، مقابل من يفسرون الاقتصاد الهولندي في القرن السابع عشر على أنه اقتصاد تجاري بحت، ومن يضعون التحول من الإقطاعية إلى الرأسمالية ضمن سياق العلاقات الطبقية الريفية فحسب، إلى إضفاء الطابع التجاري على الزراعة الهولندية من خلال علاقاتها بالمدن، التي تكثفت على الصعيد العالمي، قائلًا:

> وهكذا، ظهرت طبقة من أشباه الرأسماليين الحضريين الذين لم يكتفوا بالاستحواذ على المنتجات النهائية للعمل الريفي فحسب، بل حصلوا على سيطرة كبيرة على كل مرحلة من مراحل الإنتاج. وفي المقابل، أدى فقدان الفلاحين السيطرة على وسائل الإنتاج إلى تمهيد الطريق أمام تحويل هؤلاء التجار - رواد الأعمال إلى طبقة بروليتارية بالكامل Proletarianization بمجرد أن شرعوا في نقل أجزاء كبيرة من عملية الإنتاج إلى المدن. وقد مهّد هذا التكافل الحضري - الريفي الطريق للانتقال إلى الرأسمالية في هولندا[196].

وفي حين ساعد هذا التكافل الحضري - الريفي في تحقيق انتقال متمايز وغير متكافئ ومتقطع من الإقطاعية إلى الرأسمالية، فإنه لا ينبغي أن يمنح الانطباع الخاطئ بوجود قطاع زراعي متجانس أو موقع ريفي منعزل. فقد كانت التمايزات جوهرية، ولا تزال كذلك، بالنسبة إلى خصوصية الزراعة الهولندية، وهو أمر يجري التغاضي عنه أيضًا في التجريدات المغلوطة التي تروّج لها حركة المزارعين. وفي هذا الصدد، يحرص فان دير بلوخ[197] على تأكيد أن القطاع، منذ الخمسينيات، ومع زيادة كثافة الزراعة الهولندية، أصبح بوضوح أشد تمايزًا على نحو متزايد. وقد سارع المزارعون المقاولاتيون Entrepreneurial Farmers، على وجه الخصوص، إلى اعتماد أساليب زراعية أعلى كثافة في استهلاك الطاقة؛ ما ألحق ضررًا بالمزارعين الفلاحيين التقليديين. ويدعو فان دير بلوخ[198]، مع رؤيته بارقة أمل في مشروع سياسي قائم على إحياء الزراعة الفلاحية التقليدية، إلى بديل من "الشعبوية الرجعية" Regressive Populism المبنية على "الزراعة الصناعية، وسياسات الدولة، وعلوم فاخينينغن[199]"[200]. والأهم من ذلك أنه يوضح التعقد داخل قطاع الزراعة، والعلاقات غير المتكافئة، لكنها جوهرية، التي تربط هذا القطاع بالعلاقات الحضرية، والتي تتجاوز التصورات المُشيَّأة مثل "الريف"، إضافة إلى الطريقة التي يجعل بها العديد من المزارعين الأضعف أقل احتمالًا لأن يكونوا جزءًا من الحركة الشعبوية الرجعية المعترضة على سياسات المناخ[201].

3. ميدان الأيديولوجيا

يتضح من خلال هذه الخيوط جميعها أنّ تلاقي حركة المزارعين مع سياسة المناخ قد فتح ميدانَ أيديولوجيا تُخاض فيه صراعات محتدمة حول تصوّرات العالم؛ فنظريات المؤامراة الجامحة لدى اليمين المتطرف تفتقر إلى أيّ أساس واقعي. ومع ذلك، فإنها تتقاطع مع جملة من الشروط المادية التي يجد فيها كثير من المزارعين أنفسهم غارقين في الديون، ومخذولين من السياسات الحكومية، وعاجزين عن تفسير ما آلت إليه أوضاعهم. وفي حين تظل حركة المزارعين متمايزة داخليًا[202]، فقد غدت الصراعات حول ميدان الأيديولوجيا أهم كثيرًا[203]. وتكمن خصوصية اللحظة الراهنة أيضًا في الدور المركزي للسياسة البرلمانية التي باتت منخرطة في حركات المزارعين[204]، وهو ما يختلف عن العلاقات الخارجة عن الإطار البرلماني التي كانت سائدة في حركات التسعينيات[205].

---

194 Maarten Prak & Jan Luiten van Zanden, *Pioneers of Capitalism: The Netherlands 1000-1800* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2022).

195 Brandon, pp. 106-146.

196 Ibid., p. 124.

197 van der Pal; van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

198 Ibid.

199 نسبة إلى جامعة فاخينينغن Wageningen University & Research، التي تركز على علوم الحياة والعلوم الزراعية. والإحالة هنا غير محايدة، بل تنطوي على بعد نقدي واضح في مضمون المعرفة الزراعية السائدة، التي تجرد الزراعة من أبعادها السياسية والاجتماعية والبيئية - المحلية، وتربطها، من خلال سياسات الدولة، أكثر فأكثر بمصالح الشركات الزراعية الكبرى. (المترجمة)

200 من المهم التنبيه هنا إلى أنه، على غرار ما يدعو إليه كيفر من الاعتراف بالأسس المتمايزة دائمًا التي قد ينبثق منها مشروع تابع Subaltern، من المهم أيضًا الاعتراف بوجود اختلافات ضمن المصالح القوية وعدم طمس العلاقات المتغيرة بين هؤلاء الفاعلين الثلاثة.

201 van der Pal.

202 ينظر:

Lex Bohlmeijer, "'De boer' bestaat niet. Dat besef kan het stikstofdebat vooruithelpen, zegt deze hoogleraar," *De Correspondent*, 27/8/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPl7

203 van der Pal.

204 Ibid.

205 Frouws, "Mest en macht"; Jaap Frouws, "The Manure-Policy Process in The Netherlands: Coping with the Aftermath of the Neocorporatist Arrangement in Agriculture," in: Romstad, Simonsen & Vatn (eds.), pp. 209-223.

قد يكون من المهم هنا أن نشير صراحةً إلى مقدار اختلاف تفسيرنا لمفهوم ميدان الأيديولوجيا عن أيّ تصور للوعي الزائف False Consciousness؛ فليس المزارعون الهولنديون مخدوعين، ولا في حاجة إلى استبصارات "المنظّرين النقديين"، ولا تائهين في واقعهم المقلوب الخاص. فالصراع الأيديولوجي، بحسب غرامشي، متجذّر في الشروط المادية[206]. وفي مواجهة المحاولات التي تسعى لحل التناقضات التي يتجسد عبرها الصراع الطبقي من منظور خارجي، تمثّل فلسفة الممارسة Philosophy of Praxis، كما يطوّرها غرامشي، محاولةً لتفسير تلك التناقضات من الداخل، بوصفها سبيلًا أفضل لفهم الانزياحات والإمكانات الملموسة لبناء مجتمع مختلف جذريًا.

لقد كانت التناقضات داخل حركة المزارعين واضحة منذ البداية. وبالنسبة إلى فان دير بلوخ، هذه التناقضات هي ما يُمكّن ما يسميه "الشعبوية الرجعية" Regressive Populism. ومن ثم،

> لا شك في أن حركة خريف 2019 هي حركة شعبوية، ولكن بطريقة رجعية. إنها ظاهرة "متعددة الطبقات" Multi-class. لقد اجتمع فيها مزارعون كبار من ذوي النزعة المقاولاتية، ومزارعون أقرب إلى الطابع الفلاحي، وعمال زراعيون، ومجموعات مختلفة من شركات الأعمال الزراعية، وعمال متعاقدون، وسكان ريفيون آخرون، من دون أيّ محاولة جادة للتوفيق بين مصالحهم المتباينة جميعًا[207].

ويلاحظ فان دير بلوخ، في طرحٍ يردد صدى كتابات غرامشي بشأن الأيديولوجيا، أن الحركة التي نشأت حينها لم تسعَ لـ "معالجة علاقات القوة غير المتكافئة والتناقضات السياسية - الاقتصادية"، بل اختارت أن تخاطب كيانًا مجردًا هو "الدولة"[208]. وبدلًا من التصدي للتحديات الجوهرية التي تواجه الزراعة الهولندية، يسلط نقل الغضب نحو سلسلة من الخصومات الزائفة الضوءَ على ميدان الأيديولوجيا الذي باتت منظمات المزارعين تخوض صراعًا فيه[209]. ولعله من الأدق القول إن طيّ هذه التناقضات الكثيرة في تجريد زائف واحد – يتمثل في ثنائية "الشعب في مواجهة كتلة السلطة"، أو "الريف في مواجهة المدينة" – هو جوهر هذا الصراع. وتعدّ هذه استراتيجياتٍ خطرةً، كما في قراءة هارت للقومية في جنوب أفريقيا، لأن مجموعات يمينية متطرفة مثل قوة دفاع المزارعين Farmers' Defence Force[210] قد وظّفتها أيديولوجيًا.

4. الأبعاد الدولية

أخيرًا، أصبحت الأبعاد الدولية لحركة المزارعين ذات أهمية متزايدة. فكما يوضح باتريك سميث[211] وكامي خيس وبارتوش برجينسكي[212]، تحوّلت الحركة الزراعية الهولندية إلى ما يشبه نقطة الانطلاق الأساسية لنظريات المؤامرة؛ إذ سعى أصحابها لاستيعاب نضال المزارعين ضمن حركة يمينية شعبوية أوسع. وكان العنصر المحوري هنا هو نظرية مؤامرة "إعادة الضبط الكبرى" Great Reset التي ازدهرت خلال جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19). فقد جرى عرض مقطع فيديو قصير، بصوت الأمير البريطاني آنذاك تشارلز (الذي أصبح الآن الملك تشارلز الثالث)، دعا فيه إلى "إعادة ضبط كبرى"، تشمل التحول نحو أنماط حياة أكثر استدامة استنادًا إلى الدروس المستخلصة من الجائحة، وذلك في المنتدى الاقتصادي العالمي عام 2020. وفي وقت لاحق من العام نفسه، نشر رئيس المنتدى، كلاوس شواب، كتابًا بعنوان **كوفيد-19: إعادة الضبط الكبرى** *COVID-19: The Great Reset*[213]، وأصبح هذا الموضوع محور الاجتماع السنوي للمنتدى في عام 2021. وكما بيّن كوين سلوبوديان[214]، التقطت وكالات أنباء يمينية مختلفة الفيديو الأصلي الذي ظهر فيه الأمير تشارلز، ونسجت منه سردية حول "نخبة شيوعية عالمية" تسعى لتدمير الرأسمالية. وقد أُضيفت إلى هذه السردية طبقات أخرى من الخطاب المعادي للسامية؛ إذ صُوِّر أشخاص مثل جورج سوروس George Soros وشواب على أنهم شيوعيون، منحرفون، ويشكّلون نخبة خطيرة. وفي الحالة الهولندية، بلغ خطاب "الاستحواذ العولمي" الذي تمثله

206 Antonio Gramsci, *Further Selections from the Prison Notebooks*, Derek Boothman (trans. & ed.) (London: Lawrence and Wishart, 1995), p. 395.

207 van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," p. 598.

208 Ibid.

209 van der Pal, "Farmers Defence Force wordt geen politieke partij."

210 Gillian Hart, *Rethinking the South African Crisis: Nationalism, Populism, Hegemony* (Scottsville, South Africa: University of KwaZulu-Natal Press, 2013).

211 Smith.

212 Camille Gijs & Bartocz Brzeziński, "Europe's Right Wing Piggybacks on Dutch Farmer Protests," *Politico*, 29/7/2022, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9F2sA

213 ينظر:
Klaus Schwab & Thierry Malleret, *COVID-19: The Great Reset* (Geneva: Forum Publishing, 2020). (المترجمة)

214 Quinn Slobodian, "How the 'Great Reset' of Capitalism Became an Anti-Lockdown Conspiracy," *The Guardian*, 4/12/2020, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9F2e9

"إعادة الضبط الكبرى" ذروته في الزعم أن المزارعين يُجبرون على التخلي عن أراضيهم لصالح سياسات مواجهة تغيّر المناخ[215].

ومن غير المستغرب أن يسعى منظّر المؤامرة البريطاني، ديفيد آيك، الذي بات لاحقًا ممنوعًا من دخول هولندا مدة عامين[216]، لاستثمار مشاعر الخوف والاغتراب لدى المزارعين؛ إذ إن رواياته المعادية للسامية، التي تزعم أن البشر تحكمهم جماعة سرية من الزواحف المتخفّية في هيئة بشر، قد تداخلت مع المخاوف الريفية من فقدان الأراضي[217]. والمقلق أن نظرية "الزواحف" هذه شهدت ترويجًا أيضًا من بعض أعضاء البرلمان الهولندي (من أمثال تييري بوديه Thierry Baudet). وقد جرى دمج طالبي اللجوء، بوصفهم أكثر الفئات الاجتماعية عرضةً للتحريض في أوروبا، ضمن سرديات المؤامرة هذه، عبر روايات شديدة العنصرية تزعم أن إغلاق المزارع في هولندا إنما يجري من أجل إفساح المجال أمام إنشاء مدينة ضخمة للاجئين.

ومع نشوء صراعات مماثلة في بلجيكا وإسبانيا وإيطاليا، تزداد المخاطر بالنسبة إلى اليمين المتطرف؛ إذ إن "الاستراتيجية" الهولندية لخفض انبعاثات النيتروجين مرتبطة داخليًا بالتحولات الجارية في مجموعة من السياقات الوطنية الأخرى. فعلى سبيل المثال، عطّل عدد من المزارعين الفرنسيين، مؤخرًا، المعرض الزراعي في باريس، معبّرين عن غضب مشابه تجاه التشريعات "الأوروبية"[218]. وإذا ما أريد تحقيق الأهداف الدولية المتعلقة بالتنوع البيولوجي وتغيّر المناخ، فسيتعيّن أن ينشأ نموذج زراعي مختلف جذريًا. وتُعدّ الصدامات حول النيتروجين مجرد عنصر واحد في هذه الصراعات؛ لكنها عنصر مرشح لأن يولّد ردودًا مماثلة، خصوصًا إذا أُسيء التعامل معه بالطريقة نفسها التي اتبعتها الحكومة الائتلافية الهولندية.

وهكذا، سعى ترمب، وستيف بانون Steve Bannon[219]، ومارين لوبان Marine Le Pen (في تغريدة في 23 تموز/ يوليو 2022) إلى تجنيد الحركة الهولندية ضمن سياسة قومية أوسع[220]. ووصف ترمب، في خطاب ألقاه في مؤتمر "نقطة تحول الولايات المتحدة الأميركية" Point USA Turning[221]، في مدينة تامبا Tampa[222]، ما سماه "الخدعة الكبرى المتعلقة بالمناخ"، وكيف أنها "تُعرّض البشرية لخطر الجوع والمجاعة"؛ وأضاف: "إن المزارعين في هولندا، من بين كل الأماكن، يقاومون بشجاعة استبداد المناخ الذي تمارسه الحكومة الهولندية". وعن هذه الحكومة، قال: "إنها تريد التخلص من الماشية، بسبب ما تفعله بالكوكب. إنها تريد إخراج نصف الماشية من البلد. وستكونون أنتم التالين". وفي مؤتمر طلابي، قال ترمب: "إننا، في حركتنا، نقف ضد المتعصبين للمناخ؛ نقف مع المزارعين الهولنديين المسالمين الذين يقاتلون بشجاعة من أجل حريتهم". وكما حدث مرارًا وتكرارًا، كان المصدر الرئيس لأدلة ترمب هو تاكر كارلسون، الذي سبق أن عبّر عن غضبه "الأخلاقي" المزعوم من أفعال "النخب العالمية" التي ستتسبب، في رأيه، في خلق أزمة غذاء عالمية. فبالنسبة إلى كارلسون، كشفت استجابة الحكومة الهولندية لاحتجاجات المزارعين عن الطبيعة الحقيقية لسياسات مناخية استبدادية[223]. أما مصدر كارلسون نفسه فكان المعلّقة اليمينية المتطرفة وعضو حزب منتدى الديمقراطية الهولندي سابقًا، إيفا فلاردينغنبروك Eva Vlaardingerbroek، التي استضافتها قناة **فوكس نيوز** *Fox News* في 7 تموز/ يوليو 2022، وادّعت أن "الحكومة لا تفعل هذا بسبب أزمة النيتروجين، بل لأنها تريد أراضي هؤلاء المزارعين، وتريد استخدامها لتوطين مهاجرين جدد". وقد مرّ هذا الادعاء، الذي لا أساس له مطلقًا، وهو مؤامرة مركّبة فوق مؤامرة، من دون أي تحدٍّ أو مساءلة في برنامج كارلسون على **فوكس نيوز**.

---

215 لتفاصيل أكثر، ينظر: Smith؛ ولتحليلات نقدية حول "إعادة الضبط الكبرى"، ينظر: Michael Christensen & Ashli Au, "The Great Reset and the Cultural Boundaries of Conspiracy Theory," *International Journal of Communication*, vol. 17 (2023), pp. 2348-2366; Paolo Gerbaudo, *The Great Recoil: Politics after Populism and Pandemic* (London: Verso, 2021).

216 "David Icke: Conspiracy Theorist Banned from Netherlands," *BBC News*, 4/11/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPef

217 لتحليل كيفية "اشتغال" نظريات المؤامرة لدى آيك، ينظر: Jaron Harambam & Stef Aupers, "From the Unbelievable to the Undeniable: Epistemological Pluralism, or How Conspiracy Theorists Legitimate Their Extraordinary Truth Claims," *European Journal of Cultural Studies*, vol. 24, no. 4 (2021), pp. 990-1008.

218 "Angry French Farmers Storm into Paris Agriculture Fair," *The Guardian*, 24/2/2024, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BP1y

219 ينظر الحلقة 95 من برنامجه الإذاعي *War Room*.

220 حول إدماج لوبان السابق للقضايا البيئية في مشروعها اليميني المتطرف، ينظر: Atkins & Menga, pp. 224-232.

221 منظمة أميركية غير ربحية تدافع عن سياسة المحافظين في قطاع التعليم، خاصة الجامعات. تأسست في عام 2012؛ وفي عام 2016 أطلقت موقعًا على الإنترنت، *Professor Watchlist*، لنشر أسماء أعضاء هيئات التدريس الذين تزعم أنهم يمارسون تمييزًا ضد الطلاب المحافظين ويروجون للدعاية اليسارية في الجامعات. وفي عام 2025، تعرض أحد أبرز مؤسسيها، تشارلي كيرك Charlie Kirk، للاغتيال في حرم جامعة يوتا فالي في أوريم Utah Valley University in Orem. (المترجمة)

222 "Former President Trump Speaks at Turning Points USA Conference," *C-SPAN*, 23/7/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPy0

223 Alicia Sadowski, "In a Segment Riddled with Lies, Tucker Carlson Dismisses the Climate Crisis and Actions to Address It," *Media Matters for America*, 8/7/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPot

وفي حين أننا كنا واضحين في القول إن حركة المزارعين لا بد من أن تُفهم في ضوء الشروط المادية التي تُعاش فيها الحياة "الريفية"، فإن أكاذيب فلاردينغربروك – وكيف يمكن أن تجد لها موطئ قدم داخل الصراعات المستمرة – تُشير إلى أننا يجب أن نكون مستعدين أيضًا لنقد الأيديولوجيات حين تكون زائفةً على نحو لا تخطئه العين. وهنا تكتسب دعوة رِهمان[224] إلى أن يسير "نقد الأيديولوجيا" جنبًا إلى جنب مع تصورٍ أكثر حيادًا لمدى قدرة الأيديولوجيات على التماسك والتحول إلى قوة مادية. ومن أجل مقاومة "إغراء التسرع في فرض التجانس على الاستخدامات المتناقضة للأيديولوجيا لدى غرامشي"، يحثّنا رِهمان على "الإبقاء على التوتر الجدلي بينها"[225]. ففي رأيه، تتحول هذه الاستخدامات المتعارضة إلى مصدر قوةٍ نظرية، لا إلى نقطة ضعف. ومع ذلك، يظل رِهمان واضحًا في أن نقد الأيديولوجيا لا يعني مجرّد فضح كتلة أيديولوجية وكشفها، بل هو بالأحرى أسلوب للتدخل والتأثير فيها.

ومرةً أخرى، نجد بصيص أمل في عمل مبادرة "السياسة الريفية الانعتاقية" Emancipatory Rural Politics Initiative وفي تعاونها مع حركة **لا فيا كامبيسينا** من أجل صياغة تحالف دولي مختلف جذريًا[226]. وفي الواقع، سيتحدد نجاح أيّ سياسة مضادة بمدى إمكانية نشوء سياسة بديلة انطلاقًا من الشروط المادية للزراعة داخل سياقات محددة، مثل هولندا (على سبيل المثال لا الحصر). وفي مواجهة من يكتفون برفض حركة المزارعين، نجادل بأنها تطرح أسئلة بشأن كيفية التعامل مع التناقضات الواقعية التي تنشأ داخل نمط الإنتاج القائم حاليًا. ومن شأن بناء حركة دولية قادرة على ترجمة السياسة، التي يواجهها المزارعون عبر مجموعة من السياقات المختلفة، أن يوفر الأسس لبديلٍ راديكالي: إيكولوجيا سياسية شعبية ديمقراطية Popular Democratic Political Ecology.

خاتمة: نحو بيئة سياسية ديمقراطية شعبية

إذا اتّبعنا خطى إريك سوينغيدو[227]، ومعه ماركس[228]، في الدعوة إلى "نقدٍ للإيكولوجيا السياسية (الحضرية)"، فإن أحد التحديات الحاسمة، حينها، سيتمثل في "صياغة استراتيجية وأشكالٍ للتكلم والتصرف تكون أدائيةً Performative من ناحية قدرتها على تحقيق تحولات اجتماعية - إيكولوجية تقدمية". وبناءً على ذلك، نختتم هذه الدراسة بالسعي لجمع الإطار النظري الذي رسمناه في المبحث الأول مع ما توفره الدراسة الإمبريقية الملموسة من استبصارات، من أجل استشراف طريقٍ نحو إيكولوجيا سياسية شعبية ديمقراطية.

لا يزال الوضع السياسي في هولندا، في أعقاب انتخابات 2023 العامة، متشظيًا ومعقدًا. ومع ذلك، يبدو أن صعود اليمين المتطرف وقدرته على الارتباط باحتجاجات الجرارات قد تأكد مع دخول فان دير بلاس الحكومة بوصفها ممثلة لحركة المزارع - المواطن. وقبيل الانتخابات الأوروبية، التي يُتوقَّع أن يسعى فيها اليمين المتطرف لاتّباع استراتيجية مماثلة في أجزاء واسعة من القارة، يصبح من الضروري فهم مدى فاعلية حركة المزارعين الهولنديين والتفكير في السبل الممكنة لتحدّيها ومواجهتها[229]. وقد كان محور حجتنا في هذه الدراسة أن التجريدات المُشيَّأة، التي تضع الطبيعة ضد الشعب، والمدينة ضد الريف، والتكنوقراط ضد الجماهير، كانت عناصر حاسمة في جعل تحالفٍ شعبوي عابر للطبقات "يعمل" ويترسخ أكثر فأكثر. وفي مواجهة ذلك، نعود إلى الفهوم المتموضعة Situated تاريخيًا وجغرافيًا لدى غرامشي وهول وهارت وكيبفر، لكي ندافع عن مقاربة قائمة على العمليات/ السيرورات تمكننا من فهم الشعب والمكان، وتُبرز في الآن نفسه أهمية الصراع المادي والمعارك الحاسمة على ميدان الأيديولوجيا.

أولًا، ندعو إلى سياسة بيئية Environmental Politics لا تنطلق من تصوّرات ثنائية جامدة للطبيعة والمجتمع، بل من الوقائع الملموسة لممارسةٍ متموضعة في سياقها Situated Praxis. فعلى الرغم من أن هول نادرًا ما يكتب عن البيئة على نحو مباشر، فإن تحليلاته للنزعة التاتشرية تستمد قدرًا كبيرًا من قوتها من فهمٍ متأنٍّ لمجموعةٍ من المحددات المختلفة التي أفضت إلى تشكّل ظرف زمكاني جديد New Spatio-Temporal Conjuncture. وتفتتح هـارت[230] بالفعل ورقتها حول أنماط التحليل الظرفي باقتباسٍ من مقدمة هول وآخرين[231] لكتاب **إدارة الأزمة عبر الشرطة**. ففي حين صُدم كثيرون من "الحروب الخاطفة التي شنتها التاتشرية"، فقد سمع المؤلّفون

224 Rehmann.

225 Ibid., p. 144.

226 Scoones et al.

227 Erik Swyngedouw, "Capital's Natures: A Critique of (Urban) Political Ecology," in: Kaika et al. (eds.), pp. 37-55.

228 Marx; Massey, pp. 65-84.

229 تمكن، بالفعل أول مرة، حزب حركة المواطن - المزارع من الحصول على مقعدين عن هولندا في البرلمان الأوروبي، في الانتخابات الأوروبية لعام 2024. (المترجمة)

230 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

231 Stuart Hall et al., *Policing the Crisis: Mugging, the State, and Law and Order*, 2nd ed. (London: Red Globe Press, 2013).

الصوت القبيح لتفكك ظرفٍ قديم، وشاهدوا الأزمة وهي تتكشف، وفهموا جذورها الشعبوية ومشروعها الهيمني الطويل المدى، وكانوا في موقع يتيح لهم أن يعرفوا ذلك على نحو مختلف". ولا تقلّ عواقب العمليات الجارية اليوم خطورةً. لذلك، يصبح تفسير الظرف الراهن أمرًا حاسمًا. وتتمثل مساهمتنا المتواضعة في فهم الأزمة الهولندية في إظهار كيف أعادت عمليات "التوسع الحضري الممتد" Extended Urbanization تشكيل العوالم المعيشة وأنماط الحياة. ونتيجةً لذلك، يغدو متعذرًا على نحوٍ متزايد تجريد "المحلي" أو "الريفي" أو "المزرعة" من هذه العمليات الأوسع. ووفقًا لغرامشي، نحن في حاجة إلى لغةٍ جديدة تترجم هذه العمليات المتموضعة ترجمةً ملائمةً ضمن إطارٍ عالمي. وباختصار، نحتاج إلى لغة تعكس الواقع المعيش في هولندا، وتواجه باستمرار الثنائيات المعيبة والتجريدات المكانية التي تقوم عليها الحركة الشعبوية.

ثانيًا، ينبغي أيضًا أن تُشكّل الوقائع المعيشة للتوسع الحضري الممتد أيَّ استراتيجية مستقبلية؛ كما يتعيّن التعامل بجدّية مع الوقائع الإيكولوجية المتمثلة في حالة الطوارئ المناخية وأزمة التنوع الحيوي. وقد بدأ الجغرافيون السياسيون والإيكولوجيون السياسيون بالفعل عملًا مهمًا لرسم الصلات بين الشعبوية والإيكولوجيا. ومع أن هذا يتطلب، في الوقت نفسه، تفكيك التجريدات المكانية التي توظّفها الشعبويات اليمينية، فإننا ندعو أيضًا إلى أبحاث تُعنى بالإشكالية البيئية نفسها، لا بمجرد تمثلاتها الخطابية. وعلى الرغم من أنّ الإيكولوجيات القضائية Judicial Ecologies[232] التي يمثلها عمل فولنبروك، ومنظمته **التعبئة من أجل البيئة**، قد جرى تصويرهما بسهولة بوصفهما من تكتيكات تكنوقراط بعيدين عن الناس، فإن العلم الذي تستند إليه ليس خاطئًا. وفي لحظةٍ يسعى فيها اليمين، مرةً أخرى، لرفض كل اهتمام بالبيئة بوصفه جزءًا من "مؤامرة يسارية"، تزداد أهمية الإبقاء على شكلٍ من نقد الأيديولوجيا؛ ذلك النقد الذي يذكّرنا رهمان[233] بأنه يحتل موقعًا مركزيًا في كتابات غرامشي. ويعدّ فضح ادعاءات اليمين المتطرف الزائفة في "حروب النيتروجين" خطوة حاسمة إذا أردنا بناء إيكولوجيا سياسية حضرية تليق باسمها.

ثالثًا، لا يمكننا تجنّب التنافس في ميدان الأيديولوجيا أو الامتناع عن التدخل فيه. فالإيكولوجيون السياسيون يحوزون طيفًا من المخاييل الاجتماعية - الإيكولوجية التي لا توضّح كيفية اشتغال السيرورات الأيضية Metabolic Processes فحسب، بل إنها تفتح أيضًا إمكانات لإعادة تخيلها مستقبلًا. فمن التوسع الحضري السيبورغي Cyborg Urbanisation إلى العمران المتشظّي Splintering Urbanism، تتوافر لدينا طرائق لسرد إنتاج الإيكولوجيات الحضرية بما يسمح بمواءمتها على نحوٍ أفضل مع إيكولوجيا سياسية شعبية - ديمقراطية، بل إن الإيكولوجيا السياسية الحضرية تمتلك بالفعل جملةً من المناهج والأدوات النقدية واللغة التي تتحدى باستمرار الشعبويات اليمينية المتطرفة في لحظة تداخلها مع الإشكاليات البيئية. وإذا كنا في النقطة الأولى قد دعونا إلى التعلم من الخبرة المعيشة للتوسع الحضري الممتد، فليس المقصود من ذلك إنكار الدور الذي يمكن أن تؤديه الإيكولوجيا السياسية الحضرية في بلورة نواة من الحس السليم وتحويلها إلى رؤية نقدية متماسكة تفضي إلى تغيير تحويلي.

رابعًا، نحتاج إلى تحدّي الرؤى القومية التي، ويا للمفارقة، يروّج لها يمين متطرف يأخذ طابعًا عابرًا للحدود. فدعوة كيبفر وأنانيا ماليـك[234] إلى "توسيع" كتابات غرامشي، و"ترجمتها" عبر رسم ارتباطات نظرية بين غرامشي وفرانز فانون Frantz Fanon، تمثّل محاولةً إضافية للتفكير عبر سياقات جغرافية ومكانية متباينة. وتمثّل صياغة هارت[235] لإطارٍ ظرفي عالمي محاولةً أخرى في الاتجاه نفسه. لقد كانت "حروب النيتروجين" الهولندية، على الرغم من تموضعها الجغرافي وأهميتها البالغة في تشكيل نتائج الانتخابات العامة الهولندية لعام 2023، ساحةً لتدخّل مزيجٍ غير متجانس من منظّري المؤامرة العالميين. وقد وجد معلّقون هولنديون نظريات المؤامرة المحلية الخاصة بهم تتضخم وتُعاد إشاعتها عبر شخصيات مثل تاكر كارلسون وقناة **فوكس نيوز** وترمب. ومع ذلك، لا تزال هناك أصوات نقدية وبناءة، وإننا لَنستشفُّ بارقة أمل من إسهامات فان دير بلوخ وصحيفة **دي فولكسكرانت** *De Volkskrant* وغيرها من النماذج. لكن الأهم من ذلك هو أن الظرف العالمي الذي تشكّلت عبره الأزمة الزراعية الهولندية يفرض استجابةً عالمية وشعبية ديمقراطية في الوقت نفسه. ونحاجّ بأن الإيكولوجيا السياسية الحضرية، حين تُمارَس ضمن إطارٍ ظرفي عالمي، مؤهَّلة على نحوٍ خاص للاضطلاع بمثل هذه الاستجابة.

232 المقصود بها أشكال النضال من أجل البيئة التي تعتمد على القضاء والقانون (مثل رفع الدعاوى القضائية)، بدلًا من التعبئة الشعبية. (المترجمة)

233 Rehmann.

234 Kipfer & Mallick, pp. 137-173.

235 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

المراجع

Anderson, Ben & Anna Secor. "Propositions on Right-Wing Populism: Available, Excessive, Optimistic." *Political Geography*. vol. 96 (2022).

Andreucci, Diego. "Populism, Hegemony, and the Politics of Natural Resource Extraction in Evo Morales's Bolivia." *Antipode*. vol. 50, no. 4 (2018).

Angelo, Harvey & David Wachsmuth. "Urbanizing Urban Political Ecology: A Critique of Methodological Cityism." *International Journal of Urban and Regional Research*. vol. 39, no. 1 (2015).

Atkins, Ed & Filippo Menga. "Populist Ecologies." *Area*. vol. 54, no. 2 (2022).

Brandon, Pepijn. "Marxism and the 'Dutch Miracle': The Dutch Republic and the Transition-Debate." *Historical Materialism*. vol. 19, no. 3 (2011).

Breembroek, J. A. et al. "Environmental Farm Accounting: The Case of the Dutch Nutrient Bookkeeping System." *Agricultural Systems*. vol. 51, no. 1 (1996).

Briggs, William M. & Jan C. Hanekamp. "Nitrogen Critical Loads: Critical Reflections on Past Experiments, Ecological Endpoints, and Uncertainties." *Dose-Response*. vol. 20, no. 1 (2022).

Büscher, Bram & Robert Fletcher. "Towards Convivial Conservation." *Conservation and Society*. vol. 17, no. 3 (2019).

Büscher, Bram & Robert Fletcher. *The Conservation Revolution: Radical Ideas for Saving Nature beyond the Anthropocene*. London/ New York: Verso, 2020.

Chin, Clayton. "The Concept of Belonging: Critical, Normative and Multicultural." *Ethnicities*. vol. 19, no. 5 (2019).

Christensen, Michael & Ashli Au. "The Great Reset and the Cultural Boundaries of Conspiracy Theory." *International Journal of Communication*. vol. 17 (2023).

Cronon, William. *Nature's Metropolis: Chicago and the Great West, 1848-1893*. New York: W. W. Norton & Company, 1991.

Davis, Mike. *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles*. London/ New York: Verso, 1990.

De Lange, G. A., C. T. Zelvelder-Van der Laan & J. P. Burema (eds.). *Huishouding, voorlichting en wetenschap: 50 jaar Stichting voor Huishoudelijke en Consumentenvoorlichting-HVP*. Amsterdam: Nijgh & van Ditmar, 1985.

Deutsch, Sierra. "Populist Authoritarian Neoliberalism in Brazil: Making Sense of Bolsonaro's Anti-Environment Agenda." *Journal of Political Ecology*. vol. 28, no. 1 (2021).

Dikeç, Mustafa. "Immigrants, Banlieues, and Dangerous Things: Ideology as an Aesthetic Affair." *Antipode*. vol. 45, no. 1 (2012).

_____."Disruptive Politics." *Urban Studies*. vol. 54, no. 1 (2017).

Ekers, Matthew, Stefan Kipfer & Alex Loftus. "On Articulation, Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 110, no. 5 (2020).

Ekers, Michael & Alex Loftus. "On the Concrete: Labour, Difference and Method." *Antipode*. vol. 52, no. 1 (2020).

Ekers, Michael et al. (eds.). *Gramsci: Space, Nature, Politics*. Oxford, UK: Wiley-Blackwell, 2013.

Erisman, Jan Willem & Wim de Vries (eds.). *Stikstof: De sluipende effecten op natuur en gezondheid*. Hilversum: Uitgeverij Lias, 2021.

Güney, K. M., Roger Keil & M. Üçoğlu (eds.). *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*. Toronto: University of Toronto Press, 2019.

Hall, Stuart. "The Great Moving Right Show." *Marxism Today* (1979).

_____. "Nicos Poulantzas: State Power, Socialism." *New Left Review*. vol. 1, no. 119 (1980).

_____. "Authoritarian Populism: A Reply." *New Left Review*. vol. 1, no. 151 (1985).

_____. "On Postmodernism and Articulation." Interview by Grossberg, Lawrence. *Journal of Communication Inquiry*. vol. 10, no. 2 (1986).

_____. *The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left*. London: Verso, 1988.

_____. "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction." *Cultural Studies*. vol. 17, no. 2 (2003).

Hall, Stuart et al. *Policing the Crisis: Mugging, the State, and Law and Order*. 2nd ed. London: Red Globe Press, 2013.

Haraway, Donna. "A Manifesto for Cyborgs: Science, Technology, and Socialist Feminism in the 1980s." *Australian Feminist Studies*. vol. 2, no. 4 (1987).

Hart, Gillian. *Disabling Globalization: Places of Power in Post-Apartheid South Africa*. Berkeley: University of California Press, 2002.

_____. *Rethinking the South African Crisis: Nationalism, Populism, Hegemony*. Scottsville, South Africa: University of KwaZulu-Natal Press, 2013.

_____. "Political Society and Its Discontents: Translating Passive Revolution in India and South Africa Today." *Economic and Political Weekly*. vol. 50, no. 43 (2015).

Fraser, Nancy. "From Progressive Neoliberalism to Trump - and Beyond." *American Affairs*. vol. 1, no. 4 (2017).

_____. *Cannibal Capitalism*. London/ New York: Verso, 2022.

Fritsch, Kelly, Clare O'Connor & A. K. Thompson (eds.). *Keywords for Radicals: The Contested Vocabulary of Late-Capitalist Struggle*. Oakland, CA: AK Press, 2016.

Frouws, Jaap. "Mest en macht: Een politiek-sociologische studie naar belangenbehartiging en beleidsvorming inzake de mestproblematiek in Nederland vanaf 1970." PhD Dissertation. Wageningen University, 1994.

Gandy, Matthew. "Between Borinquen and the Barrio: Environmental Justice and New York Puerto Rican Community, 1969-1972." *Antipode*. vol. 34, no. 4 (2002).

_____. "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration." *Progress in Human Geography*. vol. 46, no. 1 (2022).

Gerbaudo, Paolo. *The Great Recoil: Politics after Populism and Pandemic*. London: Verso, 2021.

Gramsci, Antonio. *Further Selections from the Prison Notebooks*. Derek Boothman (trans. & ed.). London: Lawrence and Wishart, 1995.

_____. *Selections from the Prison Notebooks*. Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds. & trans.). London: Lawrence and Wishart, 1971.

Groot, J. C. J., W. A. H. Rossing & E. A. Lantinga. "Evolution of Farm Management, Nitrogen Efficiency and Economic Performance on Dutch Dairy Farms Reducing External Inputs." *Livestock Science*. vol. 100, no. 2-3 (2006).

Guilluy, Christophe. *La France périphérique: Comment on a sacrifié les classes populaires*. Paris: Champs Actuel, 2014.

Karayiannides, Eirini. "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain." *Modern Intellectual History*. vol. 20, no. 4 (2023).

Katz, Cindi. "Revisiting Minor Theory." *Environment and Planning D: Society and Space*. vol. 35, no. 4 (2017).

Keil, Roger & R. Mahon (eds.). *Towards a Political Economy of Scale*. Vancouver: UBC Press, 2009.

Keil, Roger & Sarah Macdonald. "Rethinking Urban Political Ecology from the Outside In: Greenbelts and Boundaries in the Post-Suburban City." *Local Environment*. vol. 21, no. 12 (2016).

Kenney-Lazar, Miles. "Neoliberalizing Authoritarian Environmental Governance in (Post) Socialist Laos." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Kipfer, Stefan. "Pushing the Limits of Urban Research: Urbanization, Pipelines and Counter-Colonial Politics." *Environment and Planning D: Society and Space*. vol. 36, no. 3 (2018).

Kipfer, Stefan & Ananya Mallick. "'Stretch' and 'Translate': Gramscian Lineages, Fanonist Convergences in the (Post) Colony." *Historical Materialism*. vol. 30, no. 4 (2022).

Kipfer, Stefan & Parastou Saberi. "From Revolution to Farce? Hard-Right Populism in the Making of Toronto." *Studies in Political Economy*. vol. 93, no. 1 (2014).

_____. "The Times and Spaces of Right Populism: From Paris to Toronto." *Socialist Register*. vol. 52 (2015).

Kojola, Erik. "Bringing Back the Mines and a Way of Life: Populism and the Politics of Extraction." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

_____. "Relational Comparison Revisited: Marxist Postcolonial Geographies in Practice." *Progress in Human Geography*. vol. 42, no. 3 (2018).

_____. "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age." *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. vol. 102, no. 3 (2020).

_____. "Why did it Take so Long? Trump-Bannonism in a Global Conjunctural Frame." *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. vol. 102, no. 3 (2020).

Harvey, David. *Justice, Nature, and the Geography of Difference*. Cambridge, MA: Blackwell Publishers, 1996.

Inwood, Joshua. "Neoliberal Racism: The Southern Strategy and the Expanding Geographies of White Supremacy." *Social & Cultural Geography*. vol. 16, no. 4 (2015).

_____. "White Supremacy, White Counter-Revolutionary Politics, and the Rise of Donald Trump." *Environment and Planning C: Politics and Space*. vol. 37, no. 4 (2019).

Jaspers, Arnout. *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby*. Amsterdam: Blauwburgwal, 2023.

Jessop, Bob et al. *Thatcherism: A Tale of Two Nations*. Cambridge: Polity, 1988.

Kaika, Maria. "Interrogating the Geographies of the Familiar: Domesticating Nature and Constructing the Autonomy of the Modern Home." *International Journal of Urban and Regional Research*. vol. 28, no. 2 (2004).

_____. *City of Flows: Nature, Modernity, and the City*. London/ New York: Routledge, 2005.

Kaika, Maria et al. (eds.). *Turning Up the Heat: Urban Political Ecology for a Climate Emergency*. Manchester: Manchester University Press, 2023.

Mishra, Pankaj. *Age of Anger: A History of the Present*. London: Allen Lane, 2017.

Mohler, Armin. *Die konservative Revolution in Deutschland 1918-1932: Grundriss ihrer Weltanschauungen*. Stuttgart: Friedrich Vorwerk Verlag, 1950.

Moore, Jason W. "Metabolic Rift or Metabolic Shift? Dialectics, Nature, and the World-Historical Method." *Theory and Society*. vol. 46 (2017).

Mouffe, Chantal. *For a Left Populism*. London: Verso, 2019.

Næss, Arne. "A Defence of the Deep Ecology Movement." *Environmental Ethics*. vol. 6, no. 3 (1984).

Özen, H. "Interpellating 'the People' against Environmentalists: The Authoritarian Populist Response to Environmental Mobilizations in Turkey." *Political Geography*. vol. 97 (2022).

Paasi, Anssi, John Harrison & Martin Jones (eds.). *Handbook on the Geographies of Regions and Territories*. Cheltenham/ Northampton: Edward Elgar, 2018.

PBL (Planbureau voor de Leefomgeving). *Naar een uitweg uit de stikstofcrisis: Overwegingen bij een integrale, effectieve en juridisch houdbare aanpak*. Den Haag: Planbureau voor de Leefomgeving. 5/7/2021. at: https://acr.ps/1L9BPkv

Ploeg, Jan Douwe van der. *Over de betekenis van verscheidenheid*. Wageningen: Landbouwuniversiteit Wageningen, 1993.

_____. "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism." *Journal of Peasant Studies*. vol. 47, no. 3 (2020).

_____. *Gesloten vanwege stikstof: Achtergronden, uitwegen en lessen*. Amersfoort/ Nordbroek: Uitgeverij Noordboek, 2023.

Ploeg, Jan Douwe van der et al. *Wat smyt it op: Een verkennende analyse van bedrijfseconomische en*

Laclau, Ernesto. "Beyond Emancipation." *Development and Change*. vol. 23, no. 3 (1992).

_____. *On Populist Reason*. London: Verso, 2005.

Laclau, Ernesto & Chantal Mouffe. *Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics*. London: Verso, 1985.

Lefebvre, Henri. *The Production of Space*. Nicholson-Smith, Donald (trans.). Malden, MA: Blackwell, 1991 [1974].

Lizotte, Christopher. "Where Are the People? Refocusing Political Geography on Populism." *Political Geography*. vol. 71 (2019).

Loftus, Alex. *Everyday Environmentalism: Creating an Urban Political Ecology*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2012.

_____. "Political Ecology III: Who Are the People?" *Progress in Human Geography*. vol. 44, no. 5 (2019).

Marx, Karl. *Capital: A Critique of Political Economy*. London: Penguin Books in association with New Left Review, 1976 [1867].

Massey, Doreen. "Politics and Space/Time." *New Left Review*. vol. 196 (1992).

McCarthy, James. "Authoritarianism, Populism, and the Environment: Comparative Experiences, Insights, and Perspectives." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Mehmood, Asif & Joshua J. Cousins. "Judicialising Urban Political Ecologies: Post-Politics and Environmental Governance in South Asia." *Antipode*. vol. 54, no. 6 (2022).

Menga, Filippo. "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism." *Political Geography*. vol. 94 (2022).

Swyngedouw, Erik. *Social Power and the Urbanization of Water: Flows of Power*. Oxford: Oxford University Press, 2004.

Thomas, Peter D. *The Gramscian Moment: Philosophy, Hegemony and Marxism*. Leiden: Brill, 2009.

Treffers, Stephanie et al. "Extending the Boundaries of 'Urban Society': The Urban Political Ecologies and Pathologies of Ebola Virus Disease in West Africa." *Environment and Planning E: Nature and Space*. vol. 5, no. 4 (2022).

Tzaninis, Yiannis. "Cosmopolitanism beyond the City: Discourses and Experiences of Young Migrants in Post-Suburban Netherlands." *Urban Geography*. vol. 41, no. 1 (2020).

Tzaninis, Yiannis et al. "Moving Urban Political Ecology beyond the Urbanization of Nature." *Progress in Human Geography*. vol. 45, no. 2 (2021).

Urry, Johan. *Global Complexity*. Cambridge, UK: Polity Press, 2003.

Valdivia, Gabriela & Angus Lyall. "The Speculative Petro-State: Volatile Oil Prices and Resource Populism in Ecuador." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Varco, Mirko. "Volk Utopia: Racial Futures and Ecological Politics on the German Far Right." *Geoforum* (2023).

Wright, Richard. "Whiteness Nationalism and the U.S. Constitution: Constructing the White Nation through Legal Discourse." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 111, no. 7 (2021).

landbouwkundige gegevens van VEL & VANLA-bedrijven. Wageningen/Drachten: Wageningen UR/NLTO-projecten, 2003.

Prak, Maarten & Jan Luiten van Zanden. *Pioneers of Capitalism: The Netherlands 1000-1800*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2022.

Pulido, Laura. "Geographies of White Supremacy and Ethnicity I: White Supremacy vs. White Privilege in Environmental Racism Research." *Progress in Human Geography*. vol. 39, no. 6 (2015).

Pulido, Laura et al. "Environmental Deregulation, Spectacular Racism, and White Nationalism in the Trump Era." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Rehmann, Jan. *Theories of Ideology: The Powers of Alienation and Subjection*. New York: Haymarket Books, 2013.

Rodenbiker, Jared. "Global China in the American Heartland: Chinese Investment, Populist Coalitions, and the New Red Scare." *Political Geography*. vol. 111 (2024).

Romstad, Eirik, Jesper Simonsen & Arild Vatn (eds.). *Controlling Mineral Emissions in European Agriculture*. Wallingford, UK/ New York: CAB International, 1997.

Ros, Gerard H. et al. *Gebieds-en bedrijfsgerichte handelingsperspectieven voor een duurzame landbouw in Nederland*. Wageningen: Wageningen University & Research, 2023.

Ru, J. H. de. "Landbouw en maatschappij: Analyse van een boerenbeweging in de crisisjaren." PhD Dissertation. Wageningen University, 1980.

Scoones, Ian et al. (eds.). *Authoritarian Populism and the Rural World*. Abingdon/ New York: Routledge, 2021.

Sessions, George. "Deep Ecology as Worldview." *The Bucknell Review*. vol. 37, no. 2 (1993).